Necmettin Erbakan Üniversitesi İlahiyat Fakültesi Dergisi, sayı: 49, Bahar 2020.

– Hakemli Makale –

النزعة الإنسانيّة في الشّعر المهجريّ الجنوبيّ حسني غراب أنموذجًا

Hafel AL-YOUNES
Dr. Öğr. Üyesi, Selçuk Üniversitesi, İslami İlimler Fakültesi
hafel@selcuk.edu.tr
https://orcid.org/0000-0002-8125-2298

GÜNEY MEHCER ŞİİRİNDE HÜMANİZM EĞİLİMİ: HÜSNÜ GURÂB ÖRNEĞİ

Bu makale, şöhret bulamamış ve ünleri yayılmamış Güney Mehcer şairlerinden Hüsnü Gurâb'ın şiirindeki hümanizm fikrini ele almaktadır. Makalede bazı doğu halklarının gurbet ve yoksulluk acılarından başka bir şey bulamadıkları, saygın bir hayat yaşama arayışıyla Amerika'ya yaptıkları göçler ve orada patlak veren hümanisttik eğilimler işlenmiştir. Ardından şiirlerinde insan ve insana dair problemlere verdiği önem açıkça görülen hatta benimsediği ve şiirlerinde kullandığı en önemli ilkelerinden birisi hümanisttik eğilimler olan Hüsnü Gurâb tanıtılmış, kendisini diğer şairlerden ayıran özelliklerine yer verilmiştir. Daha sonra şiirlerinde üzerinde durduğu kadın meselesi, yoksul, iyi ve edebiyatçı insan vb. hümanisttik eğilimin belirtileri sunulmuş, şair Hüsnü Gurâb'ın divanının genel karakterini oluşturan hümanisttik renk bilimsel bir araştırmanın gerektirdiği şekilde bütüncül bir metot takip edilerek açığa çıkarılmıştır.

Anahtar kelimeler: Hüsnü, Hümanizm, İnsan, Fakir, Edebiyatçı

HUMANISM IN THE SOUTHERN MAHJAR POETRY: HOSNI GHORAB AS A MODEL

The article deals with the idea of humanism in the poetry of Hosni Ghorab, one of the Southern Mahjar poets who did not obtain their share of fame and well-known reputation.

I presented to the research with a glance spoke about migration of some people from the East to the Americas. They were searching about good life, however they found nothing but bitterness of alienation and poverty. So, their humanitarian impulses came to my mind, and I want to speak about them in this article. Then I introduced Hosni Ghorab, who I saw the bright image of a human in his poems and his interest in humanity problems. Humanism seemed to him as one of his important principles that he adopted and harnessed his poetry to; I observed characteristics that distinguished him from others. Then I presented the manifestations of humanism in his poems such as the issue of women, the poor and the good man, and the writer. I concluded results that revealed the humane approach which was obvious in Hosni Ghorab's poet Diwan. In my research, I proceeded with the integrated approach according to the requirements of the scientific material collected from its original sites.

Keywords: Hosni, Ghorab, Mahjar, humanism, the human, the poor, the writer.

الخلاصة

يتناول المقال فكرة النزعة الإنسانية في شعر حسني غُرَاب، أحدِ شعراء المهجر الجنوبي الذين لم ينالوا حظَّهُم من الشهرة وذيوعة الصِّيت.

قدمتُ للبحث بِعُجَالَةٍ عرضت فيها هجرةَ بعض المشرقيين إلى الأمريكيتين سعيًا وراءَ العيش الكريم الذي لم يجدوا منه إلّا مرارة الغربة والفقر؛ فانفجرتْ هناك نوازعهم الإنسانية التي أَتَيْتُ على مفهومها؛ ثمَّ عَرَّفْتُ بحسني غراب الذي رأيتُ عُلُوَّ صورة الإنسان في أشعارِه علوًّا بارزًا ومدى اهتمامه بمشكلاته، حتى بدت النزعة الإنسانية لديه أَحَدَ مبادئه المهمَّة التي تَبَنَّاهَا وسَخَّرَ أشعاره لها. وقد رصدت فيها خصائصَ مازته عن غيره، ثمَّ عرضت لتجلياتِ النزعة الإنسانيَّة التي استوقفته في أشعاره مثل قضية المرأة، والإنسان الفقير، والمحسن، والأديب؛ وخلصت إلى نتائجَ كشفتِ اللِّثام عن اللون الإنساني الذي اصطبغ به ديوان الشاعر حسني غراب. وسلكتُ في بحثي المنهج التكاملي وفق مقتضيات المادة العلمية المجموعة من مظانّها الأصلية.

الكلمات المفتاحية: حسني، النزعة الإنسانية، الإنسان، الفقير، الأديب.

1–تقديم:

بدأت طلائعُ المغتربين من أبناء البلاد العربية تنزح إلى الأمريكيتين في مطلع القرن التاسع عشر، هربًا من الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية الجاثمة على صدورهم، باحثين عن حياة أفضل، وحاملين معهم آفاقًا رِحَابًا من الثقافة والأدب المشرقيين، آملين بالخلاص والتحرر من قيود الظُّلْمِ واستعباد الإنسان لأخيه الإنسان. وهناك نشأ لديهم عددٌ من الاتجاهات الشعرية، كان من أبرزها الاتجاه الإنساني الذي اهتمَّ بقضايا الإنسان على اختلاف مشاربه، وذلك لمّا لحقهُ الظُّلمُ، وغلب على حياته الجهل والفساد. وفي بادئ الأمر اتصفت الحياة الأدبية بحلقات عفوية تعقد في المنازل بقصد السَّمَرِ، وتحسّس أخبار الوطن، وأحوال الأدب وبعض المآلات السياسية فيه، وقد نبتت في هذه اللقاءات فكرة تأسيس الجمعيات الأدبية الناظمة لعمل الأدباء في البرازيل[1]الذين قاموا بتأسيس عددٍ من المنتديات الأدبية، منها رواق المعري في سان باولو عام 1900 م الذي لم يعش كثيرًا، فانفرط عقدُه بقيام الحرب العالمية الأولى 1914م. وفي عام 1933 م استطاع لَفِيفٌ من الأدباء المهجريين، ومنهم حسني غراب، تأسيس العصبة الأندلسية التي أنتجت مجلةً باسمها (مجلَّة العصبة)، رَأَسَ تحريرَهَا الأديب حبيب مسعود.[2] وأرَّخَتْ للأدب المهجري، أحدِ صنوف الأدب العربي. وكذلك أنشأ مجموعة من أدباء حمص المغتربين الناديَ الحمصيَّ في سان باولو في البرازيل، يجتمعون فيه لإحياء المناسبات المختلفة، وللتعبير عما يجول في نفوسهم، ومنهم حسني غراب الذي كان عضوًا بارزًا فيه.[3] فكانت تحظى كثير من المناسبات فيه بأثر شعريّ يخلدها، مضمِّنًا قضايا الإنسان العامة، بهدف الأخذ به إلى مسالك العدالة والحياة الكريمة.

2–النزعة الإنسانيَّة، تعريفها ومفهومها:

امتاز الشعر المهجري بِرَحَابَةِ نزعته الإنسانية التي تمثلت بالمشاركة الوجدانية والانفعالية، والحب المطلق لكل ما في الوجود، بل هي نظرة واسعة إلى الحياة، وإلى الوجود؛ وعلى الأخص إلى المجتمع البشري، الذي يحتاج إلى المبادئ السامية والمثل العليا، ومحاربة النظم التي تباعد بين الإنسان وأخيه الإنسان، والعمل على

[1] .عمر الدقاق، *الحياة الأدبية في المهجر البرازيلي– العصبة الأندلسية*، (مجلة المعرفة: العدد رقم 80، 1968)، ص37. وعنه في حسان أحمد قمحية، *الشاعر المهجري حسني غراب حياته وشعره*، ط.1 (دمشق: دار الإرشاد، 2019م)، 32.

[2] . حسان قمحية، *الشاعر المهجري حسني غراب*، 33 وما بعدها.

[3] . محمد عبد المنعم خفاجي، *قصة الأدب المهجري*، ط. 2 (بيروت: دار الكتاب اللبناني، 1973م)، 108–109. وعنه في قمحية، *الشاعر المهجري حسني غراب*، ص33 وما بعدها.

خلق بيئة يسودها العدل والمحبة والتسامح، لأجل تخفيف الشقاء الإنساني.[4] ولا يخفى على البصير ما اتصف به الشعر المهجري من اتساع مداه وعمقه وعلوه وانفراج أرجائه؛[5] للحاجات التي تَلَمَّسَ عُمْقَ وَقْعِهَا على أبناء المجتمع الذي كان لا بدّ أن يرى الوجود ببصيرة نافذة، ويتفهَّم حقيقته.

والنزعة الإنسانيَّة تمثِّلُ جملةً من الخصائص تميز الجنس البشري عن غيره من الأنواع القريبة، وميل هذا الجنس الفطري إلى مفاهيم الخير والحب والشفقة والرحمة والإصلاح،[6] بهذه المعاني بلغ الشعراء المهجريون ومن سار على نهجهم قَلْبَ الحياة، فوجدوا الجمال في كلِّ شيءٍ، ولذلك يرون أنّ كلَّ ما في الوجود إنَّما وُجِدَ ليؤدي قسطه من رسالة الحياة على النَّحو الذي أراده الله سبحانه وتعالى.[7]

أمَّا عن الأدب فهو محاكاة للحياة وفق ما قاله أرسطو الذي لم يرد حصره في كونه صورة أو نسخة مكررة لها، وإلا استغنى عنه الناس؛ لأنهم يفضلون الأصل على الصورة، وما داموا يملكون الأصل فلا حاجة بهم إلى الصورة. وإنما كان يقصد أن الأدب يحاكي الحياة في توظيف قوانينها في الحركة والصراع، ولكن لأهداف إنسانية مقصودة، ومن صنع الإنسان، وليس لأهداف طبيعية صماء.[8]

وبما أنّ الأدب هو وسيلة التعبير عن مقاصد الإنسان وأفكاره وفي الإفصاح عن عواطفه وانفعالاته وطموحاته، وفي تصوير آماله وآلامه...اتخذ الشعراء (المهجريون ومنهم حسني غراب) من الشعر رسالة إنسانية.[9] وصار أدبهم معادلًا موضوعيًا للطبيعة الإنسانية وما يعتريها من أحداثٍ عاشتها، ثم فرضت على أدبائها القيام بمهامهم المنوطة بهم من تحمل أعباء حياة الإنسان ومشكلاته.

والأدب إنسانيٌّ بطبعه؛ لصدوره عن الإنسان الذي يعالج فيه همومه وتطلعاته.[10] "وإذا لم يكن الأدب إنسانيًا، فمن العسير أن نتصور ما هو"[11] ولعلنا نلامس الصواب إذا ما ذهبنا إلى أنَّ الأدب الذي وصفناه آنفًا هو أدبٌ يرتقي من تصوير مظاهر الحياة وما فيها، إلى سبر أغوار المستقبل واستشرافه، ومكنونات النفس البشرية التي ذابت في داخلها هموم الناس، فاستلهمت منهم مواقفها واتجاهاتها، وأصبح الأديب صوت الإنسان المعبر عن أفكاره وتطلعاته، وبذلك يكون الشعر إنسانيًا حقًّا كلما اتسعت دائرة اهتمامه وانشغاله، لا بالتجربة الفردية المغرقة في الخصوصية؛ وإنما بقدر ما يتقاطع مع اهتمامات الإنسان أجمع.[12] وما تقدَّم هو مقولات تقربنا إلى دور الشعر

[4] .عيسى الناعوري، *أدب المهجر*، ط.3 (مصر: دار المعارف)، 94.

[5] .ميخائيل نعيمة، *الغربال*، ط. 15 (بيروت: نوفل، 1991)، 129.

[6] .مفيد قمحية، *الاتجاه الإنساني في الشعر العربي المعاصر*، ط.1(بيروت: دار الآفاق الجديدة، 1981)، 27.

[7] .الناعوري، *أدب المهجر*، 99.

[8] .نبيل راغب، *موسوعة النظريات الأدبية*، ط.1 (القاهرة: الشركة المصرية العالمية للنشر، 2003م)، 55-56.

[9] .شيماء هاتو فعل البهادلي، *دور الشعر في تأصيل قيم النزعة الإنسانية (الشعر الأندلسي وشعر إيليا أبو ماضي أنموذجا)*، (مجلة أبحاث البصرة (العلوم الإنسانية): المجلد 36، العدد 1، 2011م)، 6 .

[10] .علي محدادي، *الاتجاه الإنساني في روايات نجيب الكيلاني*، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الأدب العربي (الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية: وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي)، 32.

[11] .جبرا إبراهيم جبرا، *الحرية والطوفان*، ط.2 (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1979م)، 43. وعنه في محدادي، *الاتجاه الإنساني في روايات نجيب الكيلاني*، 32 .

[12] .محدادي، *الاتجاه الإنساني في روايات نجيب الكيلاني*، 33.

– ما دام لونًا من ألوان الأدب–في تَبَنّي قضايا الإنسان وحملها وإشهارها؛ لأن الإنسان هو المكون الأول لهذه الحياة، يعيش صرعاتها وتناقضاتها، ويسعى لتصويرها في لوحة أدبية صادقة.

وعلى هذا نستطيع رَصْدَ النزعة الإنسانية في الشعر المهجري، لكثرة القضايا التي تصدى لها شعراء المهجر، الذين صوّبوا كلمتهم تجاه التقاليد الاجتماعية الفاسدة، والعادات التي تحطُّ من قدر الإنسان وتعوق حركته، بل وتجعله في حلبة الفقر والجوع والمفاسد والأمراض الاجتماعية المميتة، وغيرها من قضايا المجتمع آنذاك.

وفي إطار هذا التفكير يدرك الشاعر المهجري أنّ ذاته هي جزء من عالم موضوعي تتفاعل فيه مع ذوات أخرى.[13] وبما أنّ الشاعر فَنَّانٌ له تأثيره في العالم من حوله، فكان لا بدّ له من تمثّل موقف يعبر فيه عن نزعته الإنسانية وهذا ما سيبينه البحث بعد التعرَّفِ على حسني غراب.

3–حسني غراب؛ نشأته، شخصيته، اغترابه ووفاته، عدم شهرته:

3–1–نشأته:

في سنة 1899 ميلادية ولد الشاعر حسني بن رشيد جُرْجُس غُرَاب في مدينة حمص السورية،[14] وتربّى في كنف أسرة ميسورة المال والجاه،[15] وما أن وصل إلى الحادية عشرة من عمره حتى توفَّى الله والدَهُ سنة 1910،[16] وحينها شرعت حياته بالميل نحو الانحدار إلى الفاقة والعوز؛ فكان رحيله–فيما بعد–إلى أمريكا الجنوبية، بحثًا عن الرزق، والحلم بحياة رغيدةٍ.

تلقى حسني غراب علومه الأولية في المدرسة الإنجيلية بحمص، ثمَّ أتمَّ في سنة 1914 دروسه المتوسطة في مدرسة طرابلس الأمريكية، ثم عاد إلى مدينته حمص، فعمل فيها معلمًا حتى نهاية الحرب العالمية الأولى 1918م.[17] ولعل عدم توفر البيئة المناسبة لاستمراره معلمًا، دفعه إلى العمل موظفًا كاتبًا في دائرة تقدير أملاك الدولة، إلا أنه لم يجد نفسه في هذا العمل؛ ما دفعه إلى الاستقالة والتفكير بالهجرة خارج الوطن.[18] بحثًا عن حياة أفضل ومستقبلٍ يؤمن له ما تطوق إليه نفسه.

3– 2– شخصيته:

كان حسني غراب أَبِيَّ النَّفسِ، تتجلى عناصر الشمم وعلو الهمة في أطوار حياته، وتصرفاته واضحة، فطفا على نفسه حب الانطلاق نحو الحياة التي كان لا يرى لها حدودًا في ذاته المرحة، وكان صاحبَ فكاهةٍ، كثيرَ دعابةٍ، وكثيرَ حنينٍ إلى وطنه، كما لم تَخْلُ أشعاره من نفثات كئيبةٍ بثها ومزجها بقضايا وطنية وقومية، من مثل قضية فلسطين التي آلمته أيَّمَا إيلامٍ. لم ينجح في غربته، ولم يحقق ما صبا إليه حتى وجد أن أعباء الحياة باتت أثقلَ على كاهله ممَّا كان يتوقع، وبدأ يشعر بعِظَمِ مسؤوليته عن عائلة كبيرة، فشرعت الكآبة تَتَسَلَّلُ إلى

[13] .عز الدين إسماعيل، *الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية*، ط.3 (دار الفكر العربي)، 280.

[14] .خير الدين الزركلي، *الأعلام*، ط.15 (دار العلم للملايين، 2002م)، 2/ 228، وفيه مولده 1898م. أدهم آل الجندي، *أعلام الأدب والفن* (دمشق: مطبعة مجلة صوت سورية، 1954م)، ج1/ 112.

[15] . آل الجندي، *أعلام الأدب والفن*، ج1/ 112. وعنه في قمحية، *الشاعر المهجري حسني غراب*، 51.

[16] . آل الجندي، *أعلام الأدب والفن*، 112/1. وعنه في قمحية، *الشاعر المهجري حسني غراب*، 51.

[17] . آل الجندي، *أعلام الأدب والفن*، 112/1. عيسى أسعد، *تاريخ حمص* (مطرانية حمص الأرثذكسيّة، 1984م)، القسم الثاني، 527.

[18] . أسعد، *تاريخ حمص*، 527. آل الجندي، *أعلام الأدب والفن*، 112. قمحية، *الشاعر المهجري حسني غراب*، 52.

نفسه حتى أرغمته على الهجرة. وصار كلُّ جميلٍ في عينيه مشوَّهًا وباهتًا.[19] ويلحظ الناقد لشعره شخصية مثقفةً بارعةً في قنص المناسبات ونظم الأشعار فيها، ولولا هذا لما أُطْلِقَ عليهِ شاعر المناسبات.[20] نراه ينبري لتسجيل كل مناسبة في لوحة شعرية رائقةٍ كالتي ألقاها في الحفل التكريمي احتفاء باستقبال السفير السوري آنذاك في سان باولو عمر أبو ريشة، يقول منها مضمنًا أبياته رموزًا إسلاميَّة تدلّ على سعة ثقافته واعتزازه بتراث أمتهِ التي ما فَتِئَ يفخر بها:

كَمْ شَفَتْ قَلْبًا وسَمْعًا وبَصَرْ لَيْلةٌ جادَتْ بِها كَفُّ القَدَرْ!

أَسْبَغَ السِّحْرَ عَلَيْها عُمَرٌ وكَسَتْها شَرَفًا رُوحُ عُمَرْ

جَلَّ مَنْ أَطْلَعَها فَجْرًا، ومَنْ خَلَعَ الشَّمْسَ عَلَيْها والقَمَرْ

لَيْلةُ القَدْرِ وما أَدْراكَ ما لَيْلةُ القَدْرِ جَلالًا وخَطَرْ [21]

ونلاحظ في شعره شخصيته القانعة برزقها، على الرَّغم مما عاناه من فقرٍ وعوزٍ، يقول:

عَهِدْتُكَ باسِمًا طَلْقَ المُحَيَّا فَما هذا التَّجَهُّمُ والقُطُوبُ؟

ومِمَّ تَشْتَكي والرِّزْقُ جَمٌّ لِمُنْتَجعِيهِ والمَرْعَى خَصيبُ؟[22]

كما يُلْمَحُ في شعرهِ زُهْدُهُ في الحياة وقبوله لفكرة الموت الذي كان يرى فيه راحةً، بل يجد القبر فضاءً رَحْبًا والدنيا على رحبها ضيقةً، وكأنه يقول لا راحة لمؤمن إلا بلقاء ربه، يقول:

ما أَرْحَبَ القَبْرَ على ضِيقِهِ وأَضْيَقَ الدُّنْيَا على رَحْبِها!

وراحَةُ الأَحْيَاءِ لا تُرْتَجى ما دامَتِ الأَرْواحُ في رَكْبِها

والرُّوحُ لا تَخْلصُ مِنْ قَيْدِها إلاَّ إذا عادَتْ إلى ربِّها[23]

3-3 – اغترابه ووفاته:

هاجر حسني غراب إلى البرازيل سعيًا وراء الرزق والمال سنة 1920م، "فترك مغاني الميماس...وراح الحظُّ يرقص في ساحته، ويُمنِّيه بشمس السعادة تشرق عليه في دار غربته، بيد أن الليالي لا يطيب لها عيشٌ إن

[19] . آل الجندي، *أعلام الأدب والفن*، 112. الناعوري، *أدب المهجر*، 516. قمحية، *الشاعر المهجري حسني غراب*، 52-54.

[20] . قمحية، *الشاعر المهجري حسني غراب*، 56.

[21] . حسني غراب، *أناشيد الحياة*، ط.1، قدم له وضبطه. حسان قمحية (حمص: دار الإرشاد، 2019م)، 77.

[22] . غراب، *أناشيد الحياة*، 47.

[23] . غراب، *أناشيد الحياة* ، 52.

لم ترَ الشَّاعرَ يغصُّ بلقمته"،[24] فلم يفلح في عمله في التجارة، وظلَّ يناضل في سبيل عيشه وعائلته، فعاش فقيرًا على كفاف نفسه التي كانت غنية بعفافها، وإلهامها الشعريّ الثرّ، الذي تَبَنَّى قضايا الإنسان.[25] ولكن هل تبنى قضايا الإنسان؛ لأنه شعر بمعاناته وصراعه مع الحياة؟ هذا ما سيكشف عنه شعره الذي تصدى به لمشكلات الإنسان الكبرى وما سيبينه البحث.

وفي سنة 1933 تزوج حسني غراب بالآنسة جولييتا بنت مرهج محرداوي، وأنجب منها أربعة أولادٍ، لم يعشْ منهم سوى ابنتين هما هيفاء وديانا. وفي العاشر من تشرين الأول سنة 1950 توفي الشاعر غراب، وكان حتى وفاته عضوًا في العصبة الأندلسية وهو أحد مؤسسيها،[26] ومنحته الحكومة السورية آنذاك وسام الاستحقاق السوري من الدرجة الأولى، وتكريمًا له أطلقت بلدية حمص اسمه على أحد شوارعها المهمة.[27] وهذا يدل على اهتمام وطنه به والمؤسسات الرسمية المسؤولة عن تخليد ذكرى الأدباء والشعراء ومن في حكمهم ممن كان لهم يدٌ بيضاءُ في ميدانٍ ما، ولكن لم يكن ذلك الاهتمام كافيًا برأيي، فلم ينل حَظَّهُ من التخليد الذي خُلِّده غيره ولم يكن من طبقته وأقرانه، وكان من الوسعة بمكان الاهتمام به أكثر من مثل تسمية مؤتمر علمي سنوي باسمه في مدينته التي غادرها مرغمًا.

3-4-عدم شهرته:

لم ينل حسني غراب من الشهرة وذيوع الصيت، ما ناله أقرانه من الشعراء المهجريين، ولعل هذا عائدٌ إلى قصور الجهات المعنية المسؤولة عن حفظ التراث الشعري لهؤلاء الشعراء، الذين أمضوا عُظْمَ حياتهم في الغربة، لاسيما إن حسني غراب لم يكن ممن يتسوّلون الشهرة، أو يتوسّلون أسبابها كالذي "كان لنجوم الفن (من) مكانةٍ لا تعلو عليها مكانة، وكانت أخبارهم وتصريحاتهم ومذكراتهم وصورهم تشغل حيزًا أكبر من الساسة والأمراء والفلاسفة وكبار الكتاب، وأصبح رجل الشارع يعرف عن (الممثلين) أكثر مما يعرف عن العقاد وشوقي وطه حسين والمازني والرافعي..... وقد يموت مفكرٌ كبيرٌ، فلا تجد في جنازته إلا القليلين، بينما تُسَدُّ الطرقات إذا شيعت جنازة فنان من الفنانين."[28] ولعل هذا ما دُرِجَ عليه في مجتمعاتنا الشرقية؛ بسبب تأخُّرِها وتأخُّرِ تفكيرها وقصور نظرتها وعدم الاهتمام بما يرفعها ويقدّمُهَا على غيرها.

ويضاف إلى هذا أن غرابًا لم يكن متفرغًا لصنعته الشعرية، وتوجيهها الوجهة الصحيحة، وما جاد به كان عفويًّا في جُلِّهِ، بل صرف جُلَّ اهتمامه للقمة عيشه والسعي وراء رزقه، فلم يكن ميسورًا كبعض أقرانه من أصحاب اليسر، نالوا من الشهرة ما جعل أسماءهم عناوينَ عريضةً في حقول الأدب والشعر. ويمكن أن يضاف ها هنا أنه لم يكن لحسني غراب مُنْتَجٌ أدبيٌّ في حياته، يجعله أكثر قربًا من أوساطه ومريديه. وقد ذكر الشاعر جورج صيدح أنَّ أخاه مدحت غراب عكف على جمع شعره إلا أن المنية اختطفته سنة 1958 دون أن يتمّه،[29] حتَّى جمعه الشاعر المهجري الراحل نبيه سلامة، ثم أعاد ضبطه والعناية به بأَخَرَةٍ د. حسان أحمد قمحية وأخرجه بحلة قشيبة

[24] . شكر الله الجَرّ، حسني *غراب* (لبنان: مجلة الأديب، العدد 6، 1 حزيران، 1969م)، 32. آل الجندي، أعلام الأدب والفن، 112.

[25] . شكر الله الجَرّ، *حسني غراب*، 32وما بعدها. قمحية، *الشاعر المهجري حسني غراب*، 53- 54.

[26] . آل الجندي، *أعلام الأدب والفن*، 1/ 114. قمحية، *الشاعر المهجري حسني غراب*، 53.

[27] . آل الجندي، *أعلام الأدب والفن*، 1/ 114.

[28] . نجيب الكيلاني، *مذكرات نجيب الكيلاني*، ط.1 (القاهرة، 2006)، 1/ 72. وعنه في محدادي، *الاتجاه الإنساني في روايات نجيب الكيلاني*، 54.

[29] . الناعوري، *أدب المهجر*، 516.

تليق بالشاعر غراب ومكانته الأدبية.[30] يُضاف إلى ما سبق غربته في بلاد المهجر الجنوبي، التي أمضى فيها معظمَ حياته، ممّا أدى إلى ضياع كثير من أشعاره، شأنهُ في هذا شأن كثيرٍ من أقرانه، الذين لم يسمع بهم أبناء جلدتهم إلا لمامًا، وربما لم يسمعوا بهم البتَّةَ.

4–معالم شعرية لدى حسني غراب:

تمتع الشعر المهجري عامة بجملة من السمات التي تَجَسَّدَ بعضها في شعر حسني غراب، ما دام أحد أعلامه الذين أثّروا في هذا الحقل الأدبي بإسهامه في تأسيس العصبة الأندلسية في شهر كانون الثاني يناير 1933[31] ومجلتها الرائدة التي كان أحد أعضائها المجلّين،[32] وأحد حفظة الشعر القديم الذي نسج على منواله مقتديًا بأشعار المجيدين منهم قصائده الجياد، فكان من أصفى شعراء المهجر ديباجةً،[33] فمن أبرز سمات شعره التي طَفَتْ في ديوانه:

4–1– الواقعية:

غلبت بعضُ مظاهر الواقعية على شعر غراب؛ لتجاوبه مع تفاصيل الحياة اليومية للإنسان" وقضايا الشعوب، بوساطة الأحداث الكثيرة التي عصفت بالإنسانية، وسببت الكثير من الدمار والويلات والآفات الاجتماعية التي خلفتها الحروب كأثر طبيعي لها، ثم إنّ بروز الجماهير على الساحة العالمية، وطرحها للقضايا الحياتية، ونضالها الدائب من أجل السلام والحرية والعدل، قد أثر في شعر (حسني غراب)، وجعله يواكب تلك الأحداث ويتفاعل معها وبها،"[34] من مثل قوله في قصيدةٍ بكى فيها دمشق حينما أتي حريقٌ على بعض أنحائها، فحرقت قلبه وتداعى لها بأبيات من صميم فؤاده وصادق إحساسه، يقول:

مَصائِبُ الحَرْبِ ما عادَتْ تُلطِّفُهَا ... يَدُ الزَّمانِ وذاكَ الجُرْحُ يَلْتئِمُ

وتَنْقَضِي الثَّوْرةُ الكُبْرى وقَدْ فَعَلتْ ... في رَوْضِكِ الغَضِّ ما لا يَفْعَلُ الضَّرَمُ

حتَّى بُليتِ بِنَارٍ أَفْزَعَتْ بَرَدَى ... وأَوْجَستْ خِيفَةً مِنْ حرِّهَا الدِّيَمُ

أَعُوذُ باللهِ مِنْها وَهْيَ فَاغِرةٌ ... فَاهَا مُضَوَّرةً تَسْعَى وتَلْتَهِمُ

كأنَّها ذاتُ ثَأْرٍ سَالِفٍ وَجدَتْ ... غَريمَها، وأَتَتْهُ اليَوْمَ تَنْتَقِمُ

فَيَا دِمَشْقُ عَزاءٌ أَنَّها نِقَمٌ ... تَمْضِي وتَعْقُبُها الآلاءُ والنِّعَمُ[35]

[30] . غراب، *أناشيد الحياة*: 13

[31] . قمحية، *الشاعر المهجري حسني غراب*، 38. خفاجة، *قصة الأدب المهجري*، 93 .

[32] . قمحية، *الشاعر المهجري حسني غراب*، 43. خفاجة، *قصة الأدب المهجري*، 94.

[33]. أسعد، *تاريخ حمص*، 527، بتصرف.

[34] . قمحية، *الاتجاه الإنساني في الشعر العربي المعاصر*، 58.

[35]. غراب، *أناشيد الحياة*، 126.

يأسى لحال دمشق عندما رزحت تحت الاحتلال الفرنسي، وما أصابها من ويلات ونزلت بساحتها الرزايا؛ حتى ألمَّ ببعضها حريقٌ كبيرٌ، فأفزع نهر بردى وغيوم السماء المفعمة بالماء، وكأن النار وحش كاسرٌ جائع يلتهم فريسته بشغف ونَهَمٍ، أو أنَّها صاحبة ثأر ووجدت خصمها وتنتقم منه اليوم، إلا أنه يرسم بكليماتٍ نظرةً تفاؤليةً لأجل دمشق في النهاية، فيقول: العزاء أنها نقمة وستزول وستعقبها نعمٌ كثيرةٌ، فهو يشدُّ أزر دمشق المكلومة، ويخفف عنها بِجَرْعَةِ أملٍ؛ لأنه يدرك قيمتها وأهميتها. وهذا كله من مواكبة الشاعر للواقع المعيش ومتابعته تفاصيل الحياة.

4-2- المحافظة على الطابع التقليدي للقصيدة العربية القديمة:

حافظ حسني غراب على شكلِ القصيدة القديمة بصورتها الكلاسيكية من غير تنويع في الأوزان والقوافي؛ مستحضرًا الجديد من الصور والمعاني الوافدة على حياته، فجاءت أشعاره مزيجًا من القديم بقداسته وشكله وموسيقاه المنتظمة بإيقاعٍ واحدٍ، ومن الجديد بما يخدم طموحه من إيحاءاتٍ تعالج قضايا النزعة الإنسانية، وتعبر عن الواقع. ولعل هذا ما دفع عمر أبو ريشة للقول: "إنّ حسني غراب أصفى شعراء المهجر ديباجة."[36] وربَّمَا هذا ما أبعد عن شعر غراب ومعظم أقرانه من أعضاء العصبة، سهام النقد، كالتي وجهت لشقيقتها الرابطة القلمية في المهجر الشمالي،[37] التي بعدت قليلًا عن الذائقة العربية السائدة، فسلخت لغة الشعر عن لغة الخطابة، وأحدثت تجديدًا في الألفاظ والأساليب مع ابتعادهم على الأوزان الشعرية، فألفوا النَّظمَ على طريقة الشعر المنثور تماشيا مع ما يسمى بدعوة التطور والتجديد، التي أخرجت بعض الشعر المهجري من عباءة القديم والتقليد؛ حتى بلغ من جبران خليل جبران القول: " لكم من لغتكم البديع والبيان والمنطق، ولي من لغتي نظرة عين المغلوب، ودمعة في جفن المشتاق، وابتسامة على ثغر مؤمن."[38]

4-3- التنوّع في تناول الموضوعات الشعرية:

يهيئ للناقد البصير بأنَّ ديوان الشاعر غراب لوحة فسيفسائية؛ لتنويعه في تناول كثيرٍ من القضايا التي واجهت الإنسان والموضوعات التي عرضت له في حياته، ممّا يدل على سعة تفكير الرجل وعمقه وصدقه في التعبير، حتى إنّ الناقد لشعره ليجد غير غرض ينتهب القصيدة الواحدة.[39] كأن يجدَ مزيجًا من الأغراض المتزاحمة في قصيدة واحدةٍ.

4-4- قلَّةُ تأثّره بالأدب الأندلسي:

لم يتأثر الشاعر غراب بالأدب الأندلسي الذي تأثر به أقرانه وخاصة بالروح الغنائي، والموسيقا والعذوبة الفنيَّة في الموشحات التي بلغت نهاية الترف والجمال[40] خلا قصيدتين نسجهما على ما نسجت عليه الموشحات الأندلسية من خروج على عمود القصيدة التقليدية، جاءت الأولى على أنغام البحر الخفيف، ألقاها في النادي الحمصي سنة 1922.يقول، منها:

[36] . الناعوري، *أدب المهجر*، 516.
[37] . خفاجة، *قصة الأدب المهجري*، 92.
[38] . خفاجة، *قصة الأدب المهجري*، 148.
[39] . قمحية، *الشاعر المهجري حسني غراب*، 75.
[40] . خفاجة، *قصة الأدب المهجري*، 92. قمحية، *الشاعر المهجري حسني غراب*، 40.

إنَّ سِرَّ الوُجُودِ سِرٌّ غَريبُ حارَ في كَشْفِهِ الحَبيرُ اللَّبِيبُ [41]

حَجَبَتْهُ عَنِ البَصائرِ لَمَّا خَلَعَتْ لَيْلَها علَيْهِ الغُيُوبُ

ثم يقول بعد هذين البيتين:

كامِنٌ في ضَميرِ باري البَرايا وَهْوَ في أَمْرِهِ عَليمٌ خَبِيرُ

يا بْنَ هَذي الدُّنْيَا روَيْدكَ فَكِّرْ إنَّما كَشْفُه عَلَيْكَ عَسيرُ[42]

ويستمر هكذا في تنويع القافية، وكذلك يفعل في القصيدة الثانية التي جاءت على أوتار مجزوء الرجز وسمها بنشيد دوحة الميماس، يقول فيها:

يا دَوْحَةَ المِيماسْ يا قُرَّةَ العُيُونْ

يا بَهْجَةَ الأَنْفاسْ بالطِّيبِ والفُتُونْ[43]

ثُمَّ بعد بيتين آخريين من السين، يقول:

بِالرَّوْضِ وَالأَزْهارْ تَسْحَر كُلَّ النَّاسْ[44]

ثم يعودُ إلى الباء فيقول:

يا حِمْصَنا الثَّاني يا مَوْطِنَ الأَحْبابْ[45]

وإنْ دلَّ هذا على شيءٍ فإنَّمَا يدلُّ على معرفة الشاعر بالنظم على منوال الموشحات الأندلسية واطلاعه عليها، غير أنَّ هواه بقي مشرقيًّا، فآثر عزف أشعاره على أنغام القصيدة الكلاسيكية القديمة التي سكنت فؤاده وعبَّرَتْ عن أفكاره.

4-5- بروز الحكمة:

ولم يفت الشاعر غراب أن يُودِعَ أشعاره حكمةً نَمَّتْ على رجلٍ عاقلٍ مترو، متأمّلٍ في شؤون الحياة ومفاصلها، على خلاف بعض الشعراء المهجريين الذي أسرفوا في قضايا التأمل والإنسان ومعالجة بعض القضايا القومية والحنين إلى الأوطان، فكانت الحكمة بارزة في أشعاره، وهي إلى النثر أقرب صياغة منها إلى الشعر، قريبة

[41] . أَلْقى حُسْني غُراب هذه القَصيدَةَ في واحدةٍ من حفلاتِ النَّادي الحِمْصي سنةَ 1922 م، ونَوَّعَ فيها القافِيَةَ على غَيْر عادتِه

[42] . غراب، *أناشيد الحياة*، 60. قمحية، *الشاعر المهجري حسني غراب*، 163 وما بعدها.

[43] . غراب، *أناشيد الحياة*، 129. قمحية، الشاعر *المهجري حسني غراب*، 166.

[44] . غراب، *أناشيد الحياة*، 129. قمحية، الشاعر *المهجري حسني غراب*، 166.

[45] . غراب، *أناشيد الحياة*، 129. قمحية، *الشاعر المهجري حسني غراب*، 166.

الفهم، سهلة التناول؛ بعيدة عن التعقيد، وكأنه فيها يخاطب الإنسانَ بكلِّيَتِهِ، ويعلِّمُهُ منهجًا قويمًا في الغربة؛ لِتَسْهُلَ عليه شؤونها ولتَحُفَّ وطأتها، يقول من قصيدته (الأنَّةُ الصامتة):

لعَمْرُكَ ما الحَياةُ سِوَى قُيُودٍ وما أَبْناؤُها إلاَّ أَسَارى

وَما هُمْ – لَوْ عَلِمْتَ – سِوَى نِعاجٍ مَشَتْ للمَوْتِ قَسْرًا واضْطِرارا

فَلا اسْتَثْنى الرَّدَى مِنْهُم كِبارًا ذَوِي جاهٍ وَلا اسْتَبْقَى صِغارا[46]

وكذا لم نعدم بعض نظرات التأمل –على نحولها وهزال بدنها في أشعاره–العميقة في قصيدته (سر الوجود) التي صرفها خالصة لوجهه، وهي قصيدة متعددة القوافي والمقاطع، يسرد حقيقة خلق الكون وأسراره؛ يقول:

إنَّ سرَّ الوُجُودِ سِرٌّ غَريبُ حارَ في كَشْفِه الخَبيرُ اللَّبِيبُ

حَجَبَتْهُ عَنِ البَصَائرِ لَمَّا خَلَعتْ لَيْلَها علَيْه الغُيُوبُ

فدَعِ الغَيْبَ للخَبير بسِرِّ الـ ـغَيْبِ وابْحَثْ في عالَم المَنْظورِ

وتأَمَّلْ تُبْصِرْ عَجائِبَ فيهِ هِيَ أَوْلى بالدَّرْسِ والتَّفْكيرِ[47]

ولعل هذه أبرز الظواهر التي أمكننا رصدها في شعره، وقد مازته عن غيره من أشعار المهجريين.

5–النزعة الإنسانية توجه فكري لدى حسني غراب:

غدت النزعة الإنسانية لدى حسني غراب توجهًا فكريًا، اعتنقه وآمن به؛ لإدراكه نسقًا "من الآراء المبنية على احترام كرامة الإنسان والاهتمام برفاهيته وتطوره الشامل، وخلق الظروف الملائمة للحياة الاجتماعية بكليتها. وقد نشأت الأفكار ذات النزعة الإنسانية نشوءًا تلقائيًا خلال الصراعات الشعبية ضد الاستغلال"[48] والقهر اللذين عايشهما وتذوَّقَ مرارتهما في مجتمعه المنكفئ على نفسه آنذاك. يقول من قصيدة يشكو فيها جورَ الأيام وغدرها أخٌ له، فيواسيه ويخفف عنه:

شَكا لي أَخٌ جَوْرَ الزَّمانِ وغَدْرَهُ وباحَ بمَكْنونِ الأَسَى فَشَجانِي

ولَوْ عَلِمَ الشَّاكي بِسرِّي ومَا انْطَوَتْ علَيْهِ ضُلُوعي مِنْ أَسًى لبَكاني

[46] . غراب، *أناشيد الحياة*، 81. قمحية، *الشاعر المهجري حسني غراب*، 81.

[47] . غراب، *أناشيد الحياة*، 60. قمحية، *الشاعر المهجري حسني غراب*، 98.

[48] . عبد الوهاب المسيري وعزيز العظمة، *العلمانية تحت المجهر*، ط.1 (دمشق: دار الفكر، 2000م)، 330.

فَقُلْتُ لَهُ: هَوِّنْ عَلَيْكَ فَإِنَّنِي وإِيَّاكَ في البَأْساءِ مُشْتَرِكانِ[49]

وأصبحت الإنسانية سمةً لبعض المثقفين الذين يشعرون بقيمة الإنسان ودوره في بناء الحياة، فلا يعضد الإنسان إلا أخوه، وإنْ بَعُدَت بينهما الشُّقَّةُ، وهو إلى روحه أقرب من حبل الوريد القريب، ويشبه عهديهما اللذين عاشهما معاً بخرزاتٍ في العقد الفريد الذي تميّزَ بصفات ليست في غيره، يقول:

يا أَخا الودِّ، وكَمْ مِثْلكَ لي مِنْ أَخٍ بادَلْتُهُ الودَّ الأَكيدْ!

لَسْتَ بِالغائِبِ عَنْ عَيْني، وإنْ باعَدَتْ ما بَيْننا بِيدٌ وبِيدْ

أَنْتَ مِنْ عَيْني سَنَاها، وإلى مُهْجَتي أَقْرَبُ مِنْ حَبْلِ الوَرِيدْ

بِأَبي عَهْدًا قَضَيْناهُ معًا كنَظيمِ الدُّرِ في العِقْدِ الفَريدْ[50]

لقد أدرك حسني غراب أنه "ينبغي لمُحِبِّ الكمال...أن يُعَوِّدَ نفسه مَحَبَّة الناس والتودُّد إليهم، والتَّحنن عليهم، والزلفة منهم، والرحمة لهم، فإنَّ النَّاس قبيلٌ واحد، متناسبون، تجمعهم الإنسانية، وتُحِلُّهُمْ قوة إلهية هي في جميعهم وفي كلِّ واحد منهم، وهي النفس العاقلة. وبهذه النفس صار الإنسانُ إنسانًا، وهي أشرف جُزْأي الإنسان اللَّذين هما النَّفس والجسد.... وإذا كانت نفوسهم واحدة –والمودة إنّما تكون بالنفس–واجبٌ أن يكونوا كلّهم متحابين متوادين"[51] وهذا ما شعر به حسني غراب الذي كان "يحبّ الخير لكل الناس ويكره البخل والغرور والتعالي؛"[52] ويرى بأنْ يحفظَ الإنسانُ ذاته من الذُّلِّ ومهاوي الخنوع، فلا يرخص كرامته ونفسه مقابلَ عَرَضٍ زهيدٍ فيخضع لغيره؛ لأن كثيرًا قد يُكْرِمُون غيرَهُم ؛لهوانهم بحق أنفسهم، فَهم من الأخسَّاء، وقد يهان المرء أحيانًا لشدَّةِ نخوته وعلو نفسه كما يلاقي السَّبُعُ، يقول:

قَالُوا: نَرَى نَفَرًا عِنْدَ المُلُوكِ سَمَوْا وَمَا لَهُمْ هَمْسَةٌ تَسْمُو وَلا وَرَعُ

وَأَنْتَ ذُو هِمَّةٍ في الفَضْل عَالِيَةٍ فَلِمْ ظَمِئْتَ وَهُمْ في الجاهِ قَدْ رَتَعُوا؟[53]

فَقُلْتُ: باعُوا نُفُوسًا وَاشْتَرَوْا مِنَنًا وَصُنْتُ نَفْسِي فَلَمْ أَخْضَعْ كَما خَضَعُوا

قَدْ يُكْرَمُ المَرْءُ إِعْجَابًا بِخِسَّتِهِ وَقَدْ يُهَانُ لِفَرْطِ النَّخْوَةِ السَّبُعُ![54]

[49] . غراب، *أناشيد الحياة*، 132.

[50] . غراب، *أناشيد الحياة*، 70.

[51] . محمد العربي الخطابي، *موسوعة التراث الفكري العربي الإسلامي*، ط.1 (دار الغرب الإسلامي، 1998م)، 447.

[52] . الناعوري، *أدب المهجر*، 515.

[53] . فَلِمْ: الأصلُ فيها فَلِمَ، بفتح الميم في آخرها، ولكنها سكنت للضرورة وإقامة الوزن على البحر البسيط.

[54] . الناعوري، *أدب المهجر*، 515. لم أجد هذه الأبيات في ديوان الشاعر أناشيد الحياة.

وقد أشاع إنسانيو المهجر الجنوبي أن لا تبديل للواقع المؤلم إلا بأن يحيا الإنسان حياة العقل والكرامة والأخلاق، بل والسعادة أيضًا.[55] ثم يلتفت إلى الشباب مُعْلِيًا من دورهم في بناء المجتمعات، فهم الذين لا يهرمون ببزوغ الشيب– الذي لم يكن عيبًا– في رؤوسهم، فيشبّهُ عهد الشباب وما يليه بوترين ما إن تضربهما يدُ فنَّانٍ حتى تصدر أنغامًا عِذَابًا، يقول الشاعر غراب:

لَعَمْرُ أَبيكِ ما ذَهَبَ الشَّبابُ وَلا وَلَّتْ لَيَاليهِ العِذَابُ

ولا هَذي الضَّواحِكُ في النَّواصي كَلَألْاءِ الضُّحَا مِمَّا يُعَابُ

وما عَهْدُ الشَّبابِ وَما يَليهِ سِوَى وَتَرَيْنِ ضَمَّهُمَا رَبَابُ

إذا ضَرَبَتْهُما يَدُ عَبْقَرِيٍّ تَفَجَّرَ مِنْهُما عَجَبٌ عُجابُ[56]

الإيمان بقدرة الشباب والكَهَلَةِ على تغيير الواقع من لبنات التوجه الفكري عند أصحاب النزعة الإنسانية لا سيما شاعرنا غراب الذي وعى من منبر إلهامه الشعري الاهتمامَ بقوى الإنسان الفردية وقدراته الكبيرة على تحقيق طموحه بما يملك من ثقافة وتنوير، يقول:

وهَلْ يَخْشَى بَياضَ الشِّعْرِ كَهْلٌ وفي سِرْبالِهِ نَفْسٌ كِعَابُ؟

تَمَرَّسَ بالخُطُوبِ فَلا يُبالي وأَمَّنَهُ الرَّجاءُ فَلا يَهابُ

وزادَ رِواءَهُ كَرُّ اللَّيالي ونَصْلُ السَّيْفِ يَجْلُوهُ الضِّرابُ[57]

ولا بدَّ أن يكون غراب قد تأثر بمجتمعه الذي عاش فيه، واكتسب منه خبراتٍ عديدةً؛ لتقلبه فيه وعدم شعوره بالاستقرار المنشود، فولد لديه إيمانٌ بأن للفنِّ الذي يمثله شعرُهُ دورًا مهمًّا في توجيه تجارب الإنسان والاهتمام بقضاياه المصيرية في الأزمان كلها، متخذًا من فكره ونبل رؤيته للحياة منطلقًا يصدر عنه في أشعاره؛ يقول ناصحًا أحدهم بما يجب عليه فعله من مصاحبة أفاضل الناس والعزوف عمن هم دونهم:

واصْحَبْ خَيَارَ النَّاسِ واتْرُكْ دونَهُمْ وإذا دُعِيتَ إلى الوِئَامِ فَبَادِرِ[58]

وينصح هذا بالصبر على غدر الزمان وعدم الاستسلام له والجزع منه، يقول:

واصْبِرْ على غَدْرِ الزَّمانِ ولا تَكُنْ جَزِعًا، فإنَّ اللهَ عَوْنُ الصَّابِرِ[59]

[55] . إبراهيم فتحي، *معجم المصطلحات الأدبية*، ط.1 (تونس: المؤسسة العربية للناشرين المتحدين، 1986م)، 369.

[56] . غراب، *أناشيد الحياة*، 44.

[57] . غراب، *أناشيد الحياة*، 44.

[58] . غراب، *أناشيد الحياة*، 93.

[59] . غراب، *أناشيد الحياة*، 93.

ويدعو غراب أبناء مجتمعه من الأدباء والشعراء إلى الصدق والواقعية في تصوير النفس وعدم الجنوح إلى المبالغة؛ لأن الفنَّ الذي آمن به يستند إلى "الصدق والأصالة والمثل العليا التي تتواءم مع واقع الحياة وتتطور معها وتشبعها بالحب والإخاء والعدالة،"[60] يقول:

وَارْبَأْ بنَفْسِكَ أَنْ تُضَيّعَ حَقَّها لا يَرْتَضي بالذُّلِّ غَيْرُ القاصِرِ

وإذا عَلِمْتَ مِنَ الأُمورِ كِفايَةً فَبِغَيْرِ ما بِكَ قَطُّ لا تَتَظاهِرِ[61]

وعليه تمثَّلَ الشاعر غراب قضايا الإنسان في فكره وحمل همومه في نفسه، وسعى مسعًى حثيثًا في أشعاره للنهوض بتلك القضايا التي تجلت في شعره، فكان من أبرزها قضية المرأة والإنسان الفقير والمحسن والأديب.

6– من تجليات النزعة الإنسانية في شعر حسني غراب:

يمكن للمرء–ولاسيما إذا كان من أصحاب المعاناة –أنْ يتحسس النزعة الإنسانية في وجدانه وشعوره الغريزي الذي يربطه بأخيه الإنسان؛ وهذا ما يؤدي إلى الارتقاء به على اختلاف ألوانه ومشاربه بهدف الوصول إلى الأسمى في الحياة.[62] وهو ما ألمَّ بحسني غراب الذي صبغ جملة من الموضوعات في شعره بنزعته الإنسانية، فبدت ألوانها داكنة كما هي في الواقع المستقاة منه.

6– 1 – قضية المرأة:

لعلَّ ما ألمَّ بالمرأة من حيف وجور سكنا في الضمير الجمعي لدى المجتمع آنذاك دفع بحسني غراب إلى الوقوف عندها ورصدها في شعره. يقول منتقدًا تزويج فتاةٍ رغمًا عنها بمن في سنِّ أبيها:

هِيَ لَوْ شاءَتْ البُكاءَ لَكانَتْ قَضَتْ اللَّيْلَ والنَّهارَ بُكاءَ

وَشَكَتْ جَوْرَ أُمِّها وأَبيها عَلَنًا والشَّرائِعَ العَرْجاءَ

❋ ❋ ❋

أَرْغَماها على الزَّواجِ بشَيْخٍ رَزَقَتْهُ الأَيَّامُ مالًا وَجاها

وَأَطاعَتْ لَمَّا رَأَتْ أَنْ لا مَهْرَبَ مِمَّا يُرِيدُهُ وَالِدَاها

[60] . نجيب الكيلاني، *الإسلامية والمذاهب الأدبية*، ط.1 (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1987م)، 14. وعنه في محدادي، *الاتجاه الإنساني في روايات نجيب الكيلاني*، 82.

[61] . غراب، *أناشيد الحياة*، 93.

[62] . نظمي عبد البديع محمد، *أدب المهجر بين أصالة الشرق وفكر الغرب دراسة تحليلية نقدية موازنة (دار الفكر العربي)*، 522–524.

❋ ❋ ❋

وعلى مَذْبَحِ المَطامِعِ أَضْحَتْ رُوحُ تِلْكَ الفَتاةِ إِحْدَى الضَّحَايا

في مُحيطِ المَالِ فِيهِ مَلِيكٌ والغَوَاني عَبِيدُهُ والرَّعايا[63]

إلَّا أنَّ هذه الصورةَ لم تكن نمطيةً متكررة في حياة ذلك المجتمع، بل هي في طبقات اجتماعية معينة، تتبع عادات باليةً بعيدةً عن تعاليم الدين الحنيف الذي وصَّى بالمرأة وحض على العناية بها، وحفظ حقوقها وكرامتها.[64] و هو ما نادى به حسني غراب الذي صوَّرَ لنا عجز تلك الفتاة التي آثرت الخضوع لرؤية والديها الطَّامِعَيْنِ بالمال والجاه، مُتَبَعَيْنِ الشَّرِيعةَ العرجَاء التي أراد الشاعر بها العادات التالفة المتوارثة في بُعْدٍ عن فهم الشريعة الإسلامية فهمًا سليمًا، ولو قَدَّرَ هؤلاءِ حَقَّ المرأة في اختيار زوجها وفق الدين والعادات السليمة؛ لَمَا أقدموا على إجبارها بالزواج من شيخٍ وجِيهٍ وغنيٍّ، ولأنَّ الصورةَ هذه متكررةً في كثيرة من الأحيان، دفعت بالشاعر إلى تشبيه هذا الفعل بالمذبح الذي تساق إليه النِّعَاج، وتذبح، وهي رافضةً مصيرَهَا، وكأنَّها النهاية المحتومة، وإنْ دلَّ هذا على شيء فإنَّما يدُلُّ على الحدث الجلل، وعظم المصاب الذي ابتليت به بعض البيوتات التي أنكر أهلها مكانة المرأة التي لم تقل عن مكانة الرجل؛ لقوله تعالى: ﴿ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا﴾ (سورة النساء،7)، والأمثلة كثيرة على حفظ حقوق المرأة التي أُخْضِعَتْ بما أوتيت من عزَّة وكرامة لسلطةٍ عَمْيَاءَ، وكأنَّ بأهلها رِدَّةً جاهلية.

ومن صور المرأة التي وقف عندها حسني غراب، تلك التي يُوَصِّفُ فيها فتاةَ اللَّيل وعيشها الذميم، ونظرة المجتمع السوداوية إليها، دون أن يقوم بإصلاح ما صارت إليه حالها من ظلام الحياة وفساد العيش، يقول:

وَتَراني وَلا أَزيدُكَ عِلْمًا بِالزَّوَاني وعَيْشِهِنَّ المُذَمَّمْ

هُنَّ أَوْلى برَحْمَةِ النَّاسِ مِنْ كُلْـ ـلِ أَثيمٍ لَوْ كانَتِ النَّاسُ تَرْحَمْ

❋ ❋ ❋

كَمْ تَمَنَّيْنَ أَنْ يَتُبْنَ ويَرْجِعْـ ـنَ إلى السَّيْرِ في السَّبيلِ القَويمِ!

فَوَجَدْنَ الرُّجوعَ أَمْرًا عَسِيرًا فتَمادَيْنَ في الضَّلالِ القَديمِ

❋ ❋ ❋

تَأْثَمُ المَرْأَةُ الضَّعيفَةُ يَوْمًا وعَلَى رَأْسِها تَقُومُ القِيَامَهْ

[63]. غراب، *أناشيد الحياة*، 61.

[64]. محدادي، *الاتجاه الإنساني في روايات نجيب الكيلاني*، 89، بتصرف.

وتَرَى النَّاسَ يَنْظُرونَ إِلَيْها نَظَراتٍ مَمْلؤَةً بالمَلامَهْ

❋ ❋ ❋

وَلَكَمْ في الرِّجالِ مَنْ باتَ يَعْصي رَبَّهُ في نَهارِهِ أَلْفَ مَرَّهْ!

ضُرِبَ النَّاسُ بالعَمَى عَنْ مَعاصيـ ـهِ، فَلَمْ يُبْصِروا على الأَرْضِ شَرَّهْ[65]

يتجلى موقف الشاعر الإنساني بنظرته الإصلاحية لمن وقعْنَ بِشَرَكِ الهَوَى، وهنَّ أولى بعناية الناس واهتمامهم، لإيمانه بقضية المرأة في بناء المجتمع الإنساني ومكانتها، ومسؤولياتها الكبيرة التي ألقت طبيعة الحياة عليها، حتى إنَّ ثمَّةَ وظائف حساسة وخطيرة لا يصلح للنهوض بها إلا هي.[66]

أمَّا عن تمثله لشعور هؤلاء الفتيات في نفسه، فنلحظه في تَحَضُّرِهِ للفعل (تَمَنَّينَ) الذي يجسد تماهي ذاته بذات تلك الفتاة، فيرى من خلالها نفسه، وهي التي تتوق إلى سالف عهدها النظيف، إلَّا أنَّ العودة للوراء عسيرةٌ، وضربٌ من الوهمِ، فتتابع قُدُمًا في مَهَالكِ الرَّدى طريقها، ونراه يخالف المجتمع ويعترض عليه؛ لمحاسبته المرأة على ارتكابها إثمًا، وعدم الالتفات للرجل حينما يرتكب أكبر من إثمها أو يعدد آثامه، وهو في هذا التَّطلع" إنسانيٌّ بالطبع...كغيره من ...الذين يحلمون في عالم مثاليٍّ تسوده شرائع...العدل، والسلام، فنراه يتألم تألمًا روحيًا ويتفاعل مع الطبيعة والحياة تفاعلًا وجدانيًا عبر قنواتٍ الذات التي تمتد خيوطها لترتبط بكل مظاهر الحياة،[67] ولاشكَ أنَّ الشاعر غراب اهتزَّ لِمَا رآه من مشهد تلك المرأة، فاستغرق فيه، وأخذه بعيدًا، لكن من دون أن يشخص علاجًا ناجعًا لرؤيته، وليس هذا بغريب؛ لأن كثيرًا من" أدباء المهجر غلبت عليهم ... نظرتهم التشاؤمية، والتفاؤل لديهم نحيلٌ لا تكاد تتلمّسه الأعين وسط سحائب الألم."[68] يقول وقد عُدِمَ الأَمَلُ لديه:

سَرِّحِ الطَّرْفَ في مَسَارِحِ هذا الـ ـكَوْنِ، واشْهَدْ مَظالِمَ الإِنْسانِ

وَاسْتُرِ الوَجْهَ بِاليَدَيْنِ وقُلْ: يا رَبِّ طُوبَى لِلصُّمِّ والعُمْيَانِ[69]

لقد بات حسني غراب عاجزًا وَهِنًا عن استشراف المستقبل؛ لكثرة ما يمور فيه من ويلات اجتماعية وأمراض مقيمةٍ، فيطلب منَّا الاكتفاء بمشاهدة مظالم الناس فقط، ثمَّ يطلب التعامي عن تلك المظالم، فليس ثمَّةَ مستريحٌ أفضلَ من الأصمِّ الأعمى، وهاهنا ذروة شعوره بالعجز الذي يمكن ردُّهُ إلى سببين:

[65] . غراب، *أناشيد الحياة*،64-65 .

[66] . محمد سعيد رمضان البوطي، *المرأة بين الطغيان الغربي ولطائف التشريع الرباني*، ط.1 (دمشق: دار الفكر، 1996م)، 66 بتصرف.

[67] . قمحية، *الاتجاه الإنساني في الشعر العربي المعاصر*، 77. وعنه في علي محمد الذيابات، *تجليات النزعة الإنسانية في شعر عيسى الناعوري* (المملكة الأردنية: جامعة الحسين بن طلال، 2012)، 12.

[68] . صابر عبد الدايم، *أدب المهجر*، ط.1 (القاهرة: دار المعارف، 1993م)، 460.

[69] .غراب، *أناشيد الحياة* ، 65.

أوّلهما: تأثره بما نتج عن اليأس من الحضارة الماديَّة الغربية والنقمة عليها، فهي كثيرٌ ما أفرزت إحساسًا بالضياع والتَّمَزُّقِ والغربة؛ واستجابته لهذه المحاورِ، وهذا طبيعيٌّ، تدفعه إليه طبيعة الموقف العام.[70]

ثانيهما: نمُوُّ ذاته الفرديةِ وقوةُ شعورها؛ لأنَّ الذات كلما قوي الشعور بها زادت محنتها.[71] وعليه كان الحس الاجتماعي لدى حسني غراب تجاه الإنسان كبيرًا، وهذا ما نلحظه في رصده لمشكلة المرأة التي تُشَكِّلُ أَحَدَ أركان الحياة إلى جانب الرَّجُلِ. وكذلك قضية الإنسان الفقير.

6-2- قضية الإنسان الفقير.

تجلت النزعة الإنسانية لدى حسني غراب في قضية الإنسان الفقير التي يمكن حملها على ثنائية المتناقضات التي لا تستقيم الحياة إلا بها، إذ إن" وجود الشر بجانب الخير ضروري حتى يكتمل تماسك البناء على الأرض... حيث لا معنى للرذيلة من دون الفضيلة، ولا معنى للحق من دون الباطلِ، وهذا ما يحفظ التوازن في الكون"[72] واتكاءً عليه يمكن إدخال مشهد الأعمى-الذي صوره الشاعر-العاجز عن تأمين قوته في بابة الخير، وقد منعه الناس عطاءهم، وهم الذين يُدْخَلُونَ في بابة الشَّرِّ؛ لتجافيهم عنه، يقول:

ومِنَ المُبْكِيَاتِ مَشْهدُ أَعْمَى باسِطًا كَفَّهُ لأَهْلِ السَّبيلِ

يَسْألُ النَّاسَ رَحْمةً فإذا جَا دُوا علَيْهِ فَبِاليَسيرِ القَليلِ

❋ ❋ ❋

سادَتي إنَّ عاجِزًا مِثْلَ هذا يَطْلُبُ القُوتَ خَشْيَةَ المَوْتِ جُوعا

لجَديرٌ بأَنْ يَعيشَ ويَحْيا الدْ ـدَهْرَ ما دامَ بالكفافِ قَنُوعا

❋ ❋ ❋

وَلَدَيْنا يا قَوْمُ في كُلِّ يَوْمٍ رَجُلٌ مُبْصِرٌ قَويُّ السَّاعِدْ

حَلَّ فيهِ داءُ الخُمُولِ فأَمْسَى عَنْ طِلابِ القُوتِ الضَّروريِّ قاعِدْ

❋ ❋ ❋

[70]. إسماعيل، *الشعر العربي المعاصر وقضاياه وظواهره الفنيّة*، 356.

[71]. إسماعيل، *الشعر العربي المعاصر وقضاياه وظواهره الفنيّة*، 357.

[72]. سيد حامد النسّاج، *اتجاهات القصة المصرية القصيرة*، ط.1 (القاهرة: دار المعارف، 1978م)، 311-312. وعنه في محدادي، *الاتجاه الإنساني في روايات نجيب الكيلاني*، 124.

وتَراهُ إِنْ مَدَّ للنَّاسِ كَفًّا مَلأَتْها أَكُفُّهُمْ بالنَّضَارِ

وإذا مَدَّها إِلَيْهِمْ فَقِيرٌ مُعْوِزٌ قابَلُوهُ بالإِحْتِقارِ[73]

❋ ❋ ❋

أَيُّها النَّاقِدُ الأُمورَ بعَدْلٍ أَيْنَ عَدْلُ الإِنْسانِ في الأَرْضِ أَيْنا؟

مُبْصِرٌ خامِلٌ يَعيشُ ويَبْقَى وضَريرٌ يَموتُ جُوعًا وَوَهْنا[74]

لقد نجح الشاعر غراب في توظيف هذا الصراع حتَّى غَدا شِرْيان هذا المشهد الشعري، سعيًا منه لتمكين قيم الخير والنبل–وما يدور في فلكها–في المجتمع، ولن تغيب عنَّا صورة الفقير الأعمى هاهنا ما دام يمدُّ يده ليحظى باليسير القليل –إنْ حظِيْ به، قوبلْ بالاحتقار–وهو القانع به، المستحق لأكثر منه، في مقابلها تبدو صورة القوي المبصر القادر على العمل، إلا أنَّ الخمُولَ نال منه وأخذه إلى غياهبه المظلمة، وإنْ مدَّ يدَهُ، حظي بالكثير، ثم يتساءل متعجبًا عن عدالة الإنسان في الأرض. لقد غدا صراع المتناقضات في هذا النص عمودًا تتشابك به خيوطٌ عديدة لبناء هذا المشهد ولَبِنَاتِهِ المُتَرَاصَّةِ بعضها فوق بعض للوصول إلى قمته، ولا يمكن فهم هذا المشهد بعيدًا عن حالة الفقر التي عاشها الشاعر غراب في غربته، ولست أرى ذاك الأعمى الفقير إلا انعكاسًا لصورة الفقير التي سكنت فؤاد الشاعر نفسه، أو أنَّهُ الشاعر ذاته، وما العمى الذي أصيب به ذاك الفقير إلَّا صورة للعجز الذي عاشه الشاعر وعانى أثاره، يقول من قصيدة طويلة يصف صراعه مع الجوع وقلة الزَّادِ وبساطته، وقد استعان على حاله بالصبر، ويتلهف آنذاك إلى زمن كان طعامه فيه من الأطايب غاليةِ الثمَنِ:

قَدْ باتَ بَيْني وبَيْنَ الجُوعِ مَرْحَلةٌ إذا تَخَطَّيْتُها فَالجوعُ يَقْتُلني

لَهْفي على زَمَنٍ ما كُنْتُ أَذْكُرُهُ لَوْلا قَساوَةُ ما أَلْقَى مِنَ الإِحَنِ

أَيَّامَ كانَ طَعامي لا يُكَلِّفُني على المَوائِدِ إِلَّا غاليَ الثَّمَنِ

واليَوْمَ قُوتي رَغيفٌ لا يُرافِقُهُ من الإدامِ سِوَى صَحْنٍ مِنَ اللَّبَنِ

وقَدْ يَمُرُّ نَهاري كُلُّه وأَنا طاوٍ فأَخْطُرُ كالنَّشْوانِ مِنْ وَهَنِ

[73] . قَطَعَ الشاعرُ هَمْزَةَ (الاحتقار) لإقامة الوزن واستواء البيت.

[74] . غراب، *أناشيد الحياة*، 63 –64.

حَتَّى إذا هَبَطَ اللَّيْلُ اسْتَعَنْتُ على جُوعي بصِيرٍ على ما شِئْتُ يُسْعِفُني[75]

لعلنا نلامس الصَّواب إذا ما ذهبنا إلى أنَّ" مشاعر الشاعر هي المعين الأساسي الذي يلتقط منه أفكاره وصوره،"[76] وهذا ما أعانه على تصوير حالة الفقير ومعاناته. ووفق أحد النقاد فإنَّ" الشعر الرفيع يُصاغ من المشاعر وحدها...وفكر الشاعر حيزٌ يلتقط ويخزِّنُ ما لا يحصر من المشاعر والعبارات والصور التي تبقى هناك إلى أنْ تلتقي معًا جميع العناصر التي يمكن أن تتفاعل لتكونَ مركبًا شعريًا."[77]

لقد اتخذ الشاعر غراب من النص الأوَّلِ المُسْتَمِدِ مادَتَهُ من واقع الإنسان الفقير الأعمى وما يلفه من آلامٍ معادلًا موضوعيًّا لآلام الفقير الحاضر في نفسه في أثناء تصويره لحاله المزرية وفقره المدقع، إنها عواطفه المتعددة، الممزوجة بهموم الغربة التي أنهبها حياته لأجل عيش كريم ولم ينله، سخَّرها لخدمة الفقير الذي لا يجد إلا رغيف خبزٍ يرافقه صحنٌ من اللبن إنْ وجدَ، أو هو ذاك الفقير المتأرجح يمنة ويسرة من شدة جوعه وضعفه وتراه كالسكران، إنَّ " تفكير الشاعر الذي قدحه شعور وإحساس مرهفان، تفكير مثقل بهموم عصره الحاضر... واتحاد هذا الشعور وذاك الاحساس، اللذين كانا وليدي عواطف متعددة، اجتمعا مع الفكر النَّيِّر عند الشاعر، وولَّدَا هذه الصورة للإنسان (الفقير) الذي كان المعادل الموضوعي لتلك العواطف المتعددة، لكنها المتوحدة في شخصه"[78] فالفقير وإن اختلفت بعض أوصافه ما بين النص الأول والنص الثاني هو نفسه الفقير الذي سكن روح الشاعر غراب وعانى مرارة الغربة ومواقف التمزُّق والضياع.

وفي موضع آخر لا ينفصل عمَّا سبق يعبر عن صدود الغني ونفرته من وجه الفقير الذي يلونه بلونٍ هو إلى القتامة والقبح أقرب منه إلى أيّ لونٍ آخر، وينعته بالأذلِّ المانع للمال، وأشرف الناس هو الفقير المتعفّف الغني الذي يرى عطايا المنَّانِ عارًا أثقل من الصخور، يقول:

فوَجْهُ المَوْتِ، وَهْوَ أَشَرُّ وَجْهٍ، أَحَبُّ إليهِ مِنْ وَجْهِ الفَقِيرِ

أَذَلُّ النَّاسِ مَنْ تَشْكُو إِلَيْهِمْ فَرَاغَ الكَفِّ شَكْوَى مُسْتَجيرِ

وأَشْرَفُهُمْ، إذا ذُكِروا، فَقْيرٌ غَنِيُّ النَّفْسِ مُرْتاحُ الضَّميرِ

يَرَى مِنَحَ الوَرَى مِحَنًا، ويَلْقَى حَصَاةَ المَنِّ أَثْقَلَ مِنْ ثَبيرِ[79]

إنَّ الشاعر الحقيقيَّ يؤمن بأنَّ "نظم الشعر لا ينبعث إلا عن إحساسٍ، ولا يصدر إلا عن عاطفةٍ ووجدانٍ، وأنَّ القصيدة ليست شعرًا إذ لا تسودها عاطفةٌ قويةٌ "[80] إنها عواطف الشاعر غراب في سيرها نحو الإنسان

[75] . غراب، *أناشيد الحياة*، 138.

[76] . فوزية زوباري، *المعادل الموضوعي في مدائح أبي تمام الطائي* (دمشق: مجلة مجمع اللغة العربية، المجلد 87، الجزء الثاني) المقالة من ص 477 –حتى ص510، 479 .

[77] . حسام الخطيب، *تطور الأدب الأوربي ونشأة مذاهبه واتجاهاته النقدية* (دمشق: مطبعة طربين، 1974–1975م)، 465 . وعنه في وزباري، *المعادل الموضوعي في مدائح أبي تمام الطائي*، 479.

[78]. زوباري، *المعادل الموضوعي في مدائح أبي تمام الطائي*، 486.

[79] . غراب، *أناشيد الحياة* ،97 .

[80] . زوباري، *المعادل الموضوعي في مدائح أبي تمام الطائي*، 488.

بمختلف صنوفه لاسيما الفقير المُعَنَّى؛ لأنَّ حاله هي حالُ هؤلاء الفقراء وانعكاس لصورته الحقيقية التي تمور في نفسه، كغيره من شعراء المهجر الذين عانى بعضهم مسألة الفقر. ولكن أين تقع الميزة في هذا التصوير؟

بيد أنَّ الاستحسان ظاهرٌ لأول وهلةٍ في تلابيب الأبياتِ وتلافيفيها. وإذا ما أعدنا النظر كرة أخرى تتكشف أوجاع الحياة لدى الشاعر في غربته القائمة على تصوير الهُوَّةِ الواسعة بين المتناقضين (الفقر، الغنى)، وهي بؤرة الجمال في الأبيات التي أثراها الشاعر بأسماء التفضيل (أشرُّ، أَحبُّ، أذلُّ، أشرف، أَثْقَلُ)؛ وهذا ما ساعد على تعميق تلك الهوة وتوسيعها بين المتناقضين اللذين أشرت إليهما في ناصية الفقرة.

لا يخفى على أحدٍ أنَّ البخل صفة إنسانية يُصْغِرُهَا الشاعر في نفوس أصحابها مستخدمًا اسم التفضيل (أذلُّ)، ولهذا جعل صورة الموت (أحبَّ) إلى الغني البخيل من وجه الفقير المستجير الذي ينعته بـ(أشرف) الناس الذي يرى ببصيرته العار في منن الغني المعطي (أثقل) من صخورٍ جبل ثبيرٍ. ولو لم يرد الشاعر تصوير حجم الهوة بين الفقر والغنى وما يعاني أَهْلُوهُمَا لما لجأ إلى اسم التفضيل الذي يقوم على المفاضلة والزيادة في الدرجة،[81] كما في البيت الأول (أَشَرُّ)، فوجه الموت ووجه الفقير شريران، ولكن وجه الفقير أكثر شرًّا من غيره من الوجوه(عند بعض الأغنياء)، ثُمَّ يَخْرجُ اسم التفضيل عن عمله في البيت الثاني (أذلّ) إلى الصفة المشبهة؛ إيمانًا منه بثبات الذِّلَّةِ في البخلاء من الأغنياء، والناس شرفاء، وأكثرهم شرفًا هو المستغني القَانِعُ، إذا ما مُنِحَ عطيَّةً يراها ثقيلةً وأشدُّهَا ثِقَلًا تلك التي من مَنَّانٍ. وأخيرًا، يمكننا القول إنَّ جميع ما ذكره الشاعر غراب يدل على عمق إحساسه بقضايا الناس، فاصطفى لها من الألفاظ واختار ما يعبر عنها أسمى تعبيرٍ ووصفٍ كما سنرى في معالجته للإنسان المحسن.

6 – 3 –الإنسان المحسن:

لا ينفصل مشهد السخيّ عما سبق من قضية الإنسان الفقير، فكلاهما لُبَّانِ لحبَّةٍ واحدةٍ، تكمل كل واحدة منهما الأخرى، ولعلَّ الشاعر وجد في بعض الصفات الإنسانية التي يكبرها الناس في ممدوحيهم خيرَ معبّر عن امتداح الأسخياء؛ لأنها رأس الفضائل؛ بل ناصيتها التي ينبغي أن يُشجَّعَ عليها هؤلاء للشعور بإخوانهم الفقراء، يقول:

الأَكُفُّ النَّدِيَّةُ السَّمْحاءُ تَصْنعُ المُعْجِزاتِ حينَ تَشاءُ

رَفَعَتْ هَيْكَلًا دَعائِمُهُ الغَيْـ ـرَةُ والعَطْفُ والنَّدَى والسَّخاءُ

ورَأَى اللهُ أَنْ تَكونَ لأُمِّ الـ ـخَلْقِ في خَلْقِهِ اليَدُ البَيْضاءُ

هَيْكَلٌ يُعْجِزُ الرِّجالَ، وقَدْ تَفْـ ـعَلُ ما يُعْجِزُ الرِّجالَ النِّساءُ

كَمْ لهذا الجِنْسِ اللَّطيفِ مَآتٍ تَعْرِفُ الأَرْضُ فَضْلَها والسَّماءُ![82]

يؤمن الشاعرُ بجملة من المفاهيم الإنسانية منها مفهوم التكافل الاجتماعي، وحقّ الفقير بعيش كريم مثل أقرانه من الناس، وإيمانه بإنسانية هذا الفقير، وعلى الرَّغم من ضغوط الحياة المادية في الغربة نراه يمتدح الكرماء معتمدًا على الكناية في عُظْمِ الأبيات مثل (الأكفّ النّديَّة) و(الهيكل) و(اليد البيضاء)، بلغة بسيطة سهلة، قريبة

[81] . محمد شرَّاب، *شرح الشواهد الشعرية في أمّات الكتب النحوية*، ط.1 (بيروت: مؤسسة الرسالة، 2007م)، 279.
[82] . غراب، *أناشيد الحياة*، 28 .

من الأفهام، معبرةٍ عن إرادته. وكي يؤكِّدَ على كثرة عطاء هؤلاء النساء السخيات، استخدم الشاعر (كم) التكثيرية الخبرية، في البيت الأخير، وجاء بمجرورها مصدرًا ميميًا (مآتٍ)؛ أي لهنَّ من الفضائل والحسنات ما عرفته الأرض والسماءُ، وهل ثمةَ مدحٌ أفخمُ من هذا؟ ما دامت السماء والأرض عرفتا تلك الفضائل؟ وهنا هنا تستوقفني اللغة السهلة التي لا أجانب الحقيقة إذا قلت فيها: إنَّ الشاعر مدفوع لاستخدامها لسببين:

– إيمانه بقضية الإنسان الذي يناصر أخاه الإنسان، فكان لابدَّ أن يصل خطابه للناس جميعًا، فاختار الألفاظ السهلة البسيطة التي تخاطب القلوب قبل العقول؛ إنَّهُ خطابٌ للناس جميعا؛ لأجل الإنسانية فلابد أن يتصف بالبساطة.

– التشجيع على نصرة الفقراء والمحتاجين، ممّا يتطلب لغة حماسية، تشجيعية ممزوجة بالحَمِيَّةِ، لاسيما في قوله (هَيْكَلٌ يُعْجِزُ الرِّجالَ.....) وهي أقرب إلى النثر من لغة الشعر المحكم ما دام الكلام موجهًا للعامة، فكثيرٌ "من النقاد كان يميل ويفضّل أن تخرج القصائد خروج النثر سهولةً وانتظامًا."[83] وعليه فإنَّ" الكلام إذا خرج في غير تكلُّفٍ وكدٍّ وشدَّةِ تفكرٍ وتعمُّلٍ كان سلسًا سهلًا، وكان له ماء ورَوَاءٌ ورَقْرَاقٌ، وعليه فِرِنْدٌ لا يكون على غيره ممّا عَسُرَ بروزه واستُكْرِهَ خروجه."[84]

وفي مقطَّعَةٍ منتزعة من قصيدة طويلة بَدَتْ وكأنها قطعة فسيفسائية تستهوي قلب الناظر وتأسر عقله، يصور فيها معاشرة أبناء قومه وما لاقاه منهم، وكذلك رحلته في مغتربه وفقره، وعوز الآخرين الذين اشتدت عليهم الدنيا فأدارت لهم ظهرها، فكان حسني غراب حائلًا بينهم وبين الدنيا لعلوِ حسِّهِ الإنساني، فينصح لهم بالتسليم والصبر، ويرى الحلَّ في تشجِّيعِ الناس على العطاء والبذل لمساعدة الفقراء وأهل الحاجة، مبادِرًا بنفسه بما يملك من مال بسيطٍ، وهو المعتاد على البذلِ والسخاء في سبيل الملهوفين، صاحب نفس كريمةٍ لم تُقَسْ في يومٍ ما بما تملكه من مالٍ، ولو كان غنيًا لجعل الناس جميعهم في سويته. يقول:

شَكا لي أَخٌ جَوْرَ الزَّمانِ وغَدْرَهُ ... وباحَ بمَكْنونِ الأَسَى فَشَجاني

ولَوْ عَلِمَ الشَّاكي بِسرِّي ومَا انْطَوَتْ ... علَيْهِ ضُلُوعي مِنْ أَسًى لبَكاني

فَقُلْتُ لَهُ: هَوِّنْ عَلَيْكَ فَإِنَّني ... وإِيَّاكَ في البَأْساءِ مُشْتَرَكانِ

فمَا ليَ في دَفْعِ الأَذَى عَنْكَ حِيلَةٌ ... ولا ليَ في ردِّ القَضَاءِ يَدَانِ

وإِنّي لَوِ اعْطيتُ ما يَكْفَلُ الغِنَى ... لَوَزَّعْتُهُ ما بَيْنَ أَهْلِ زَماني

فَلا اليُسْرُ عِزٌّ لا ولا العُسْرُ ذِلَّةٌ ... فَرُبَّ عَزيزٍ في أَذَلِّ مَكانِ[85]

[83] . يوسف حسين بكار، *بناء القصيدة في النقد العربي القديم في ضوء النقد الحديث*، ط.2 (لبنان: دار الأندلس، 1982م)، 144 .

[84]. أبو هلال العسكري، *كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر)*، ط.1، تح. محمد علي البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، 1952م)، 171.

[85] . غراب، *أناشيد الحياة*، 132. قمحية، *الشاعر المهجري حسني غراب*،144.

يرى المُسْتَجِيدُ مزيَّةَ هذه الأبيات في احتوائها على معانيَ متباينةً تخصُّ الإنسانَ، وأهمها ميزة الحزنِ الذي بات من سمات الشعر المهجري الأصيلة؛ بسبب معاناة أهله من شظف العيش وقساوة الحياة.[86] فشكوى ذلك الإنسان لم تكن إلا شكوى الشاعر نفسه،[87] لقد انتزع من ذاته إنسانًا يبثه همومه وأحزانه، وكيف لا؟ وهو الفقير المحتاج إلى عون أخيه الإنسان، فيتمنى لو كان موسرًا لوزَّع ماله على أهل زمانه، لأنه يؤمن بأن الغنى لا يرفع المرء وأن الفقر لا يذل، وكم من عزيزٍ عاش حياة البساطة والكفاف! إنَّ هذا الحوار ذاتيٌّ، بين الشاعر ونفسه الحزينة؛ ليرسم لنا صورة نمطية للإنسان الصابر على الفقر والفاقة، المواسي لنفسه العاجزة عن فعل شيء إلا التسليم لقضاء الله وحكمه، ويتساءل كيف لامرئٍ كريم أن يمنع ماله عن أخيه الإنسان، وقد تَعَوَّدَ نصرته وعونه، يقول:

وَكَيْفَ تَصُونُ المَالَ كَفٌّ تَعَوَّدَتْ إغاثَةَ مَلْهوفٍ ونُصْرَةَ عاني؟[88]

إنَّه يُصَوِّرُ المُحْسِنَ الذي ترعرع على المحامد الأصيلة في عميق الثقافة العربية (إغاثة الملهوف، نصرة الذليل)، وما في هذا البيت يومئ إلى بؤرة الأبيات جميعها؛ إنها دعوة للإنسانية لنصرة الإنسان المقهور وعونه على الدنيا وظلمها.

6 – 4–الإنسان الأديب:

كان للأديب حظٌ من شعر غراب؛ لأنه يؤمن برؤيته الجديدة للواقع وبدوره في بناء مجتمع تسوده علاقات إنسانية راقية، فهو الذي يرسم آفاق المستقبل للإنسان، ويزيد من وعيه بمجتمعه وقضاياه العامة، إذ لا يمكن لامرئ أن يهتم بقضايا الإنسان كمثل الأديب الذي يمثِّلُ القيم العليا له، ويصور الحياة بتصاوير، هي أكثر صفاءً ودقَّةً مِن تصاوير غيره،[89] بل هو الذي يحدد علاقة الإنسان بنفسه وبمحيطه، يقول من مطوّلة متعددة القوافي يُعْلِي من شأنِ الأديبِ:

كَمْ لذاكَ الأَديبِ مِنْ لَفَتاتٍ كالدَّراري في سَماءِ الطُّروسِ!

ما تَلاها التَّالي عَلَى مَعْشَرٍ إلّا لَا وَقالوا: لا عِطْرَ بَعْدَ عَروسِ

❋ ❋ ❋

نَفَثاتٌ كَأَنَّهُنَّ هَديلٌ وقَوافٍ كأنَّها تَنْزيلُ

وعِظاتٌ كَأنَّما هِيَ وَحْيٌ عُلَويٌّ تَحارُ فِيهِ العُقُولُ[90]

[86] . محمد، *أدب المهجر بين اصالة الشرق وفكر الغرب*، 275.

[87] . الذيابات، *تجليات النزعة الإنسانية في شعر عيسى الناعوري*،11 بتصرف.

[88] . غراب، *أناشيد الحياة*، 133. قمحية، *الشاعر المهجري حسني غراب*، 144.

[89] . زعطوط ليندة، *الأدب بين الفكر والجمالية (رسالة ماجستير)*، إعداد: إشراف يوسف رحيم (الجزائر: جامعة عبد الرحمن ميرة بجاية، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، 2014 م، 67.

[90] . غراب، *أناشيد الحياة*، 62.

فكلماتُ الأديب هي الكواكبُ المتلألئة في ضوئها ونصاعتها في أديم السماء؛ وكأنها تضيء للمُدْلِجِيْنَ في الحياة دربهم، أو أنها عطر عروس تَفَوَّحُ رائحته الزاكية، فيشمها الناس جميعهم؛ بل هي نفثات، كأنَّها هديل حمامة في رقتها ونعومتها ومداعبتها القلوب، وأشعارٍ متساوقة كأنها ترانيم وحي أو حكمٌ في مُكْنَتِهَا وجزالتها؛ حارتْ بها العقول لبلاغتها وأَثَرِهَا.

على الرَّغمِ من علوِّ هذه التشبيهات المتتابعة، والمبالغة فيها التي أكسبتها جمالية فريدةً، وامتلاك الأديب الطاقات الإبداعية الكبيرة، لم يحظَ بحياة كريمة تصيّرهُ في موضعه الذي يستحقه، فهو إذ يمنح الناس جميع ما وهبه الله من عواطفَ وشعورٍ، يجوع ولا يجد إلا قليلا من قوتٍ؛ إنَّهُ الفقير المعنَّى الذي عاينه وعايشه في شخصه ما عاشَ، يقول:

والأَديبُ المِسْكين يَرْسمُ في الطَّرْ م سِ بِصَبرٍ حَوادِثَ الكائِناتِ

بِيَراعٍ ما جالَ فَوْقَ رِقاعٍ قَطُّ إِلَّا وجاءَ بِالمُعْجِزاتِ

❋ ❋ ❋

يَمْنحُ النَّاسَ كُلَّ ما وَهَبَ اللَّـ ـهُ لَهُ مِنْ عَواطِفٍ وشُعُورِ

وإذا جاعَ وَاشْتَهى القُوتَ لَبَّو هُ، ولكَنْ بالشُّحِّ والتَّقْتيرِ

❋ ❋ ❋

عاشَ للكُلِّ كَيْ يَعيشَ لَه البَعْـ ـضُ فيَجْنَي مِنْهُمْ ثِمارَ اجْتِهادِهْ

فَمَضَى ناقِمًا على النَّاسِ طُرًّا وقَضَى حينَ لَمْ يَفُزْ بمُرادِهْ[91]

لا يمكن فهم حالة الأديب المزرية وفقره المدقع في صورته التي رسمها الشاعر بعيدًا عن حالته نفسه التي جعلها صورة نمطية للأديب الذي لا يجد ما يسدُّ به حاجته في غربته، فطغت فيها الحياة المادية على الحياة الروحية المشبوبة بمعاني العدالة، وتحقيق الكرامة وحفظ حقوق الإنسان وتنظيم حياته وفق أسس ساميةٍ بعيدًا عن الشكِّ والاضطراب.[92] ولم ينكر أحدٌ على الشاعر غراب حقَّهُ –لاسيما أصحاب المذهب المادي– في" أنْ يكسب من المالِ ما به يستطيع أن يحيا ويكتب، ولكن لا يصح في حالة من الحالات أن يحيا ويكتب ليكسب المال."[93] سوى أبناءِ مجتمعه على الرغم من تشربهم ببعضٍ من" رسالة الأديان وتراث فلسفات الأخلاق الهادفة المشرقية وما تدعو إليه،"[94] في حين كان من الواجب أن ينظروا إلى "الإنسانية في مفهومها العام نظرة واسعة إلى

[91] . غراب، *أناشيد الحياة*، 63.

[92] . محمد، *أدب المهجر بين أصالة الشرق وفكر الغرب*، 518.

[93] . محمد غنيمي هلال، *قضايا معاصرة في الأدب والنقد* (القاهرة: دار نهضة مصر)، 30–31.

[94] . محمد، *أدب المهجر بين أصالة الشرق وفكر الغرب*، 518.

الحياة، وإلى الوجود، وعلى الأخص إلى المجتمع البشري...ومحاربة النظم التي تباعد بين الإنسان وأخيه الإنسان،"[95] لأنَّهُم والشاعر سواءٌ، خرجوا من ديارهم للأسباب والبواعث نفسها التي دعتهم للخروج، وعانوا المعاناة ذاتها في الغربة.[96]

ولا يخفى على أحد مدى احتفاء العرب بالشعر، واهتمامهم به حتى عُدَّ أصحابه في وقت ما بمنزلة الأنبياء، لما يحويه من لغة وحكمة ومآثر وتاريخ،[97] فكيف لحسني غراب أن يكون غير هؤلاء، وهو–مُدَمَّى القلبِ–الشاعر الذي اتخذ من كلمته منبرًا للاهتمام بقضايا الإنسان عامة ولمحاكاة الواقع الأليم.

وبعد: فقد خلص البحث إلى جملة نتائج، أهمها:

– التزام الشاعر حسني غراب بمنهج القصيدة التقليدية القديمة بخصائصها وميزاتها الفنية.

– إيمان حسني غراب بقيمة الإنسان؛ ووقوفه إلى جانبه في مختلف قضاياه؛ لإيمانه بقدرته على تحقيق طموحه في حياة يسودها الأخلاق والكرامة والعقل وانتفاء الاستعباد.

– حَمَلَ الشاعر غراب أهم قضايا الإنسان على كاهله لأهميتها في بناء المجتمع السليم، فكانت المرأة والأديب والفقر والإحسان القضايا التي عالجها وتصدَّى لها.

– نزع الشاعر غراب إلى مقاربات واقعية وتصاوير ذاتية، بعرضه لقضايا تهمُّ الإنسان بكليته، من مثل عرضه لحال الفقير وهو الفقير نفسه، وكذا حال الأديب وهو الأديب ذاته.

– تناوله لقضايا الإنسان متكئًا على لغة بسيطة سهلة التناول والفهم، لأن خطابه إنسانيٌّ، موجَّهٌ للإنسان بكل صنوفه.

– اعتماد الشاعر غراب على الضِّديات من مثل الغني والفقير، والبخيل والكريم، وغيرها في إبراز الصورة الحقيقية للقضايا التي عرض لها في شعره وتبناها في فكره.

–كشف البحثُ اللثامَ عن شاعرٍ مهجري مهمٍّ لم يسبق إليه خلا دراسة الدكتور حسان قمحية التي فتحت باب هذا الشاعر على مصراعيه؛ فعرضت لقضايا الفن والمجتمع في شعر حسني غراب.

ثبت المراجع:

*آل الجندي، أدهم. *أعلام الأدب والفن*. دمشق: مطبعة مجلة صوت سورية، 1954م.

*أسعد، عيسى. *تاريخ حمص*. حمص: مطرانية حمص الأرثوذكسية، 1984م.

*إسماعيل، عز الدين. *الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية*. الطبعة.3. دار الفكر العربي.

*بكار، يوسف حسين. *بناء القصيدة في النقد العربي القديم في ضوء النقد الحديث*. الطبعة.2. لبنان: دار الأندلس، 1982م.

*البهادلي، شيماء هاتو. *دور الشعر في تأصيل قيم النزعة الإنسانية (الشعر الأندلسي وشعر إيليا أبو ماضي أنموذجا)*. مجلة أبحاث البصرة (العلوم الإنسانية): المجلد 36، العدد 1، 2011م.

[95] . الناعوري، *أدب المهجر*، 94.

[96] . عبد الدايم، *أدب المهجر*،22.

[97] . أبو حاتم أحمد بن حمدان الرازي، *كتاب الزينة في الكلمات الإسلامية العربية*، ط.1، تح. حسين الهمداني (اليمن: مركز الدراسات والبحوث اليمني، 1994م)، 105.

*البوطي، محمد سعيد رمضان. *المرأة بين الطغيان الغربي ولطائف التشريع الرباني*. الطبعة.1. دمشق: دار الفكر، 1996م.

*جبرا، إبراهيم جبرا. *الحرية والطوفان*. الطبعة.2. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1979م.

* الجَرّ، شكر الله. حسني *غراب*. لبنان: مجلة الأديب، العدد 6، 1 حزيران، 1969م.

*الخطابي، محمد العربي. *موسوعة التراث الفكري العربي الإسلامي*. الطبعة.1. دار الغرب الإسلامي، 1998م.

*الخطيب، حسام. *تطور الأدب الأوربي ونشأة مذاهبه واتجاهاته النقدية*. دمشق: مطبعة طربين، 1974-1975م.

*خفاجة، محمد عبد المنعم. *قصة الأدب المهجري*. الطبعة.2. بيروت: دار الكتاب اللبناني، 1973م.

*الدقاق، عمر. *الحياة الأدبية في المهجر البرازيلي- العصبة الأندلسية*. مجلة المعرفة: العدد رقم 80، 1968.

*الذيابات، علي محمد. *تجليات النزعة الإنسانية في شعر عيسى الناعوري*. المملكة الأردنية: جامعة الحسين ابن طلال، 2012.

*الرازي، أبو حاتم أحمد بن حمدان. *كتاب الزينة في الكلمات الإسلامية العربية*. الطبعة.1. تح. حسين الهمداني. اليمن: مركز الدراسات والبحوث اليمني، 1994م.

*راغب، نبيل. *موسوعة النظريات الأدبية*. الطبعة.1. القاهرة: الشركة المصرية العالمية للنشر، 2003م.

*الزركلي، خير الدين. *الأعلام*. الطبعة.15. دار العلم للملايين، 2002م.

*زوباري، فوزية. *المعادل الموضوعي في مدائح أبي تمام الطائي*. دمشق: مجلة مجمع اللغة العربية، المجلد 87، الجزء الثاني،المقالة من ص 477 -حتى ص510.

*شرَّاب، محمد. *شرح الشواهد الشعرية في أمَّات الكتب النحوية*. الطبعة.1. بيروت: مؤسسة الرسالة، 2007م.

*عبد الدايم، صابر. *أدب المهجر*. الطبعة.1. القاهرة: دار المعارف، 1993م.

*العسكري، أبو هلال. *كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر)*. الطبعة.1. تح. محمد علي البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، 1952م.

*غراب، حسني. *أناشيد الحياة*. الطبعة.1. قدم له وضبطه. حسان قمحية. حمص: دار الإرشاد، 2019م.

*فتحي، إبراهيم. *معجم المصطلحات الأدبية*. الطبعة.1. تونس: المؤسسة العربية للناشرين المتحدين، 1986م.

*قمحية، حسان. *الشاعر المهجري حسني غراب حياته وشعره*. الطبعة.1. حمص: دار الإرشاد، 2019م.

*قمحية، مفيد. *الاتجاه الإنساني في الشعر العربي المعاصر*. الطبعة.1. بيروت: دار الآفاق الجديدة، 1981.

*الكيلاني، نجيب. *الإسلامية والمذاهب الأدبية*. الطبعة.1. بيروت: مؤسسة الرسالة، 1987م.

*الكيلاني، نجيب. *مذكرات نجيب الكيلاني*. الطبعة.1. القاهرة، 2006.

*ليندة، زعطوط. *الأدب بين الفكر والجمالية (رسالة ماجستير)*. إشراف يوسف رحيم. كلية الآداب، الجزائر: جامعة عبد الرحمن ميرة بجاية، قسم اللغة العربية،2014 م.

*محدادي، على. *الاتجاه الإنساني في روايات نجيب الكيلاني*. أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الأدب العربي. الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية: وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي.

*محمد، نظمي عبد البديع. *أدب المهجر بين أصالة الشرق وفكر الغرب دراسة تحليلية نقدية موازنة*. دار الفكر العربي.

*المسيري، عبد الوهاب. و العظمة، عزيز. *العلمانية تحت المجهر*. الطبعة.1. دمشق: دار الفكر، 2000م.

*الناعوري، عيسى. *أدب المهجر*. الطبعة.3. مصر: دار المعارف.

*النسَّاج، سيد حامد. *اتجاهات القصة المصرية القصيرة*. الطبعة.1. القاهرة: دار المعارف، 1978م.

*نعيمة، ميخائيل. *الغربال*. الطبعة.15. بيروت: نوفل، 1991.

*هلال، محمد غنيمي. *قضايا معاصرة في الأدب والنقد*. القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر.

KAYNAKÇA

Abduddeym, Sâbir. *Edebü'l-Mehcer*. 1. Baskı. Kahire: Dâru'l-Meârif, 1993.

Âlu'l-Cundî, Edhem. *A'lâmu'l-edeb ve'l fen*. Dımeşk: Matbaatu Mecalle Sût Suriye, 1954.

el-Askerî, Ebû Hilâl. *Kitabu's-sınâ'atîn (el-Kitâbe ve'ş-şi'r)*. 1. Baskı. Thk. Muhammed Ali el-Becâvî, Muhammed Ebu'l-Fadl İbrahim. Kahire: Dâru İhyâu'l-Kütübi'l-Arabiyye, 1952.

el-Bahâdilî, Şeymâ Hâtû. *Devru'ş-ş'iri fi te'sîli kıyem en-neza'a el-insâniyye (eş-Şi'rü'l-Endelüsî ve şi'r İyliyâ Ebû Mâzî enmûzecen)*. Mecelletü Ebhâsu'l-Basrâ (Ulûmu'l-İnsâniyye), c. 36, s. 1, 2011.

Bekkâr, Yusuf Hüseyin. *Binâu'l-kasîde fi nakdi'l-Arabî'l-kadîm fi davi'n-nakdi'l-hadis*. 2. Baskı. Lübnan: Dâr'ul-Endelüs, 1982.

el-Bûtî, Muhammed Saîd Ramazân. *el-Mer'e beyne't-tuğyân el-ğarbi ve'l-letâifi't-teşria el-rabbânî*. 1. Baskı. Dımeşk: Dâru'l-Fikr, 1996.

Cebrâ, İbrahim Cebrâ. *el-Hürriyye ve't-tûfân.* 2. Baskı. Beyrut: el-Müessesetü'l-Arabiyye li'd-Dirasât ve'n-Neşir, 1979.

el-Cir, Şükrullah. *Hüsnî ğurâb*. Lübnan: Mecelletü'l-Edîb, s. 6, 1969.

ed-Dakkâk, Ömer. *el-Hayâtü'l-edebiyye fi'l-mehceri'l-Berâzilî–el-Usbetü'l- Endelüsiyye*. Mecelletü'l-Marife: s. 80, 1968.

Esad, İsâ. *Tarihu Hums*. Humus: Matraniyyetu Humus el-Ortodoksiyye, 1984.

Fethi, İbrahim. *Mu'cemu'l-mustalahâtü'l-edebiyye*. 1. Baskı. Tunus: el-Müessesetü'l-Arabiyye li'n-Nâşirîn el-Müttehadin, 1986.

Ğurâb, Hüsnî. *Enâşîdi'l-hayat*. 1. Baskı. Tsh. Hasan Kamhiye. Humus: Dâru'l-İrşâd. 2019.

Hafâce, Muhammed Abdülmünim. *Kıssatü'l-edeb el-mehcerî*. 2. Baskı. Beyrut: Dâru'l-Kitâb el-Lübnânî. 1973.

el-Hatîb, Husam. *Tatavvuru'l-edeb el-Avrûbî ve neş'etü mezâhibihî ve itticâhâtihî el-nakdiyye*. Dımeşk: Matbaatüu Tarbîn, 1975.

el-Hattâbî, Muhammed el-Arabî. *Mevsûatü't-turâs el-fikrî el-İslamî*. 1. Baskı. Dâru'l-Ğarb el-İslamî. 1998.

Hilâl, Muhammed Ğanîmî. *Kadâyâ Mısriyye fi'l-edeb ve'n-nakd*. Kahire: Dâru'n-Nahda.

İsmâil, İzzüddin. *Eş-Şi'ru'l-Arabî el-muasiru kadâyâhu ve zevâhirahu el-fenniye ve'l-maneviye*. 3. Baskı. Dâr'ul-Fikru'l-Arabî, (ty).

Kamhiye, Hasan. *eş-Şi'ru'l-mehcerî Hüsnî Ğurâb hayatuhû ve şi'rihî*. 1. Baskı. Humus: Dâru'l-İrşâd, 2019.

Kamhiye, Müfîd. *el-İtticâhu'l-insanî fî'ş-şi'ri'l-Arabî el-muâsır.* 1. Baskı. Beyrut: Dâru'l-Âfâki'l-Cedîde, 1981.

el-Kîlânî, Necîb. *el-İslâmiyye ve'l-mezâhibi'l-edebiyye*. 1. Baskı. Beyrut: Müessesetü'r-Risale, 1987.

el-Kîlânî, Necîb. *Müzekkerâtu Necîb el-Kîlânî*. 1. Baskı. c: 2. Kahire: (yy.), 2006.

Linde, Zatût. *el-Edeb beyne'l-fikr ve'l-cemâliyye (Yüksek lisans tezi)*. Tsh: Yusuf Rahim. Cezayir: Abdurrahman Mire Becaye Üniversitesi Edebiyat Fakültesi, Arap Dili Bölümü, 2014.

el-Mesîrî, Abdulvehhâb, Azame Aziz. *el-Almâniyye tahte'l-mecher*. 1. Baskı. Dimeşk: Dâru'l-Fikr, 2000.

Mihdâdî, Ali. *el-itticâhu'l-insânî fi Rüvâyâti Necîb el-Kilânî (Doktora Tezi)*. Cezayir: Kasidi Merbah Vırkale Üniversitesi, Dil ve Edebiyat Fakültesi, Arap Dili ve Edebiyatı Bölümü, (ty).

Muhammed, Nazmi Abdülbedî'. *Edebü'l-mehcer beyne asâleti'ş-şark ve fikri'l-ğarb dirase tahlîlîyye nakdiyye muvâzene*. Dâru'l-Fikri'l-Arabî.

en-Nâûrî, Îsâ. *Edebü'l-mehcer*. 1. Baskı. Kahire: Dâru'l-Meârif, (ty).

en-Nessâc, Seyyid Hâmid. *İtticâhâtü'l-kıssa el-Mısriyye el-kasîra.* 1. Baskı. Dâru'l-Fikri'l-Arabî. 1978.

Râgıb, Nebîl*. Mevsûât el-nazariyyât el-edebiyye*. 1. Baskı. Kahire: eş-Şirketü'l-Mısriyye el-Âlemiyye li'n-Neşr. 2003.

el-Râzî, Ebû Hâtim Ahmed b. Hamdân. *Kitabu'z-zîne fi'kelimâti'l-İslâmiyye el-Arabiyye*. 1. Baskı. Thk. Hüseyn el-Hamdânî. Yemen: Merkezü ed-Dirâsât ve'l-Buhûs el-Yemenî, 1994.

Şerrâb, Muhammed. *Şerho'ş-şevâhed eş-şi'riyye fi'l-kütübi'n-nahvî*. 1. Baskı. Beyrut: Müessesetü'r-Risâle, 2007.

Zirikli, Hayruddîn. *el-A'lâm*. 8. Cilt. 15. Baskı. Dâru'l-İlm li'l-Melâyiyîn, 2002.

ez-Ziyâbât, Ali Muhammed. *Teceliyyâtü'n-nezâ'a el-insâniyye fi şi'ri İsâ en-Nûrî*. el-Memleketü'l-Ürdüniyye: Câmi'atü'l-Hüseyn İbn Telal, 2012.

Zûbârî, Fevziyye. *el-Muâdil'l-mevdû'î fi medâihi Ebî Temmâm et-Tâî*. Dimeşk: Matbûatu Mecmai'l-Luğati'l-Arabiyye, s. 87, c. 2, sf. 477-510.